



مجلة علمية اجتماعية تاريخية ادبية

القاهرة — ديسمبر ١٩٠٩ — ذو الحجة ١٣٢٧

مقدمة السنة السابعة

عودة الجامعة الى مصر

عادت الجامعة الى مصر بعد غيابها في نيويورك وأوروبا أربع سنوات الا بعض سنة . وقد نقلت ادارتها من الاسكندرية الى مصر العاصمة وتستمر في خدمة قرائها الافاضل في القطر المصري والخارج على نحو ما اعتادوه منها بحسب طاقتها ومقدرتها . والمأمول ان يديم قراؤها لها ما عودوها اياه من الوداد والاقبال وقد انقضى الآن على سفرنا من نيويورك عدة اسابيع وكان يجب ان تظهر الجامعة قبل هذا التاريخ بشهر أو أكثر حسب وعددها لقرائها في العدد الاخير الذي صدر منها عن نيويورك قبل سفرنا منها بشهر وفيه خبر انتقالها . ولكن المرض الذي طرأ على شقيقة صاحب الجامعة بعد وصولها الى باريز في طريقنا الى مصر وألزمها الفراش خمسة اسابيع فيها قد أخر وصولنا الى مصر

لما أعلننا في العدد الاخير من جريدة الجامعة الذي صدر في نيويورك قبل سفرنا بشهر خبر عودتها الى مصر انما هالت على الادارة في نيويورك رسائل مشتركي الجامعة

وأصدقائها في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا فاجتمع لدينا منها في ثلاثة أسابيع نحو ٨٠٠ كتاب يودع فيها أصحابها الأدباء الجامعة توديعاً لا ننساه في حياتنا كلها ويظهرون لها عواطف ودادهم ويطلبون ان يبعث بها اليهم من مصر . هذا فضلاً عن ورقة الطلب التي طبعت في الجامعة ليوقع عليها من يروم اقتناءها بعد انتقالها الى مصر وقد وقع عليها معظم مشتركينا الأدباء في دار هجرتهم . فحق لهم علينا في أول جزء يظهر من الجامعة بعد عودتها الى مصر ان نثني على ودادهم وغيرتهم وان نؤكد لحضراتهم حرصنا على صلات الوداد والادب التي تمسكنت بين الجامعة وانصارها وأصدقائها في اميركا الشمالية والجنوبية بعد معيشتها نحو ٤ سنوات بين ظهرائهم وعلى الجامعة ان لا تنسى أيضاً واجب شكرها لرصفائها وأصدقائها وقراءها في الشرق الذين اكرموا وفادتها واستقبلوها بعبارات التشييط ورسائل الوداد كما يستقبل الصديق القديم صديق قديم صداقته كالخمر تجود مع الزمان كما هو شأن صداقة الكرام هذا وسيكون ظهور الجامعة مرة في الشهر كما كانت قبل انتقالها الى اميركا ويبقى بدل الاشتراك فيها كما كان أيضاً ثلاثة ريالات في القطر المصري و ٢٠ فرنكا في الخارج

تحيية الجامعة للجامعة

في مصر مشروع عظيم نازع الجامعة في اسمها واتخذ اسماً . ولا ريب ان القارئ أدرك اننا نعني المدرسة الكلية العليا التي أنشئت في القاهرة باسم (الجامعة المصرية) Université Egyptienne فمجلة الجامعة تجد شرفاً لها هذه المشاركة في الاسم وتحيي شريكها فيه تحية السرور والاعجاب بهمة منشئها الكرام والعاملين فيها . وترجوان تكون هذه الشجرة الصغيرة الآن بعد زمن قريب دوحة باسقة يستظل بها طلاب العلم والأدب من جميع أنحاء الشرق .

هات الحديث

ليس من سلامة الذوق ان تنشر الجامعة في صفحاتها تقريراً لنفسها سواء كان هذا التقرير بمجاملة من صديق او تنشيطاً وتشجيعاً من احد الافاضل . ولكن القصيدة التالية قد خرجت من عدة وجوه عن كونها تقريراً او ثناءً . وضننا بايائتها المتينة الجميلة ان تلقى في زاوية الاهمال بعد ما بذله ناظمها الفاضل من العناء في سبكها واجادة نظامها . ومن جهة أخرى أردنا التعليق عليها . ثم انه قد تحلو بمجاملة الادباء بعضهم لبعض وتبادلهم بضاعة الادب وحسن الظن فان في طريق صناعة القلم في الشرق كثيراً من الاشواك فلا بأس ان يكون فيها ايضاً شيء من الزهر . وأعذب الشعر اكذبه كما قيل وان كان صديقنا الناظم الفاضل لا تروق هذه العبارة . وهذه هي القصيدة التي نحن في صددنا وقد وجدناها في شباك البريد في مصر بعد وصولنا اليها

الى الصديق فرح انطون

إن كنت لا تبغي لنفسك راحة	فأرح مطيك والذنى وبنينا (١)
في كل حين أنت تارك أمة	ولهى تعالج منك ما ييكيا
لست الذي تسع النفوس فراقه	والنفس ضائقة بما يؤذيها

*
* *

طففت الهموم فكل قلب مفروق	فيها وما من دافع يثنيها
شكوى الحزين شرارة من خلفها	حمم براكين الأسى ترميها
يشكو ليطفئها وليس بواجد	من لا يهيجها ولا يذكيا
شاك الى شاك وطالب نجدة	من رازح لا يدفع المكروها
عبث الخلائق بالامور وراعهم	وجه الصواب فاثروا التعموها

(١) ان المطية لم تتعب ايها الصديق لانها كانت جماداً وهي الباخرة لاتورين التي ركبتهما ذهاباً والباخرة لالورين التي ركبتهما اياباً . ولكن جمال هذا البيت هو في مبالغته كما هو شأن كثير من ضروب الجمال وخاصة في صناعة الأدب

دنيا يطيش لها الحليم (١) ومعرض يدع المدل بعقله معقوها
جهدي وجهدك ان نعبد شكية كنا نهز الشرق اذ نبديها (٢)



هات الحديث (٣) أ كل أرض زرتها مصر وكل الناس مثل ذوبها
ضاقت بهمتك البلاد ونوّهت فيك الامور بعذرها تنويها
أهلا بمقتحم الوقائع (٤) ترمي أهوالها سود المشاهد شوها
نبه لنا ملاً العقول فانها في غفلة تتطلب التنبيه (٥)
حسي وحسبك في المطالب أنا نقضي شبيتنا ولا نقضيه

(١) يجب ان لا يطيش لها بل ان يستأسرها ويدبرها ويسيرها بحسب رأيه ومصلحته .
واذا ضعف المرء عن ذلك واكتفى لديها بالصياح والنواح كان الذنب ذنبه لاذنبها
نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
وسيرى الصديق ان هذه المسألة على (بساطتها) انما هي لباب الحياة الامبركية
وروحها الحقيقية التي كوّنت امة من اعظم امم الدنيا حديثاً وقديماً ان لم تكن أعظمها كلها
على الاطلاق . وسيكون هذا موضع مباحث عديدة في الجامعة مقاومة للروح الشرقية
القديمة التي هي علة جمود الشرق وخموله
(٢) كلا وانما هو يهزنا لانحن نهزه . وان اقتصر جهدنا على الشكوى دون العمل فهو
عقيم لاخير فيه

(٣) حباً وكرامة . وان جمال هذا البيت جعلني اضع العبارة الاولى منه عنواناً
لقصيدتك الجميلة . وسيكون حديث هذا السفر طويلاً فارجو ان لا تفجر منه فتقول
بعد ذلك (كفانا حديثك) بدل قولك (هات الحديث)

(٤) اعظم واقعة افتحمتها ايها الصديق هي واقعة الباخرة لا تورين حين قطعت عليها
الافقيانوس الانلانتيكي لأول مرة . فانه مشهور باضطرابه وهوله

(٥) رأيي انها في الطبقات العليا متنبهة فوق ما يجب فهي احوج الى شيء 'تعمل فيه
بديها' وفكرتها منها الى زيادة التنبيه فراراً من ان تصير بهذه الزيادة (كالنار تأكل نفسها
ان لم تجد ماناً تاكله) واما الطبقات التي دون تلك فهي ايضاً في اشد حاجة الى العمل لترقي
شؤونها بثمرة عملها . والاآتي من (بلاد العمل) يرى هذه الحاجة فوق كل حاجة .

*
* *

ذهب الصبي الا علاقة راحل يبغي الذهاب بها ونستقيها
كان الشباب صحيفة فطورتها وطويت دنيائي الحبيبة فيها
كثرت مساوي الحادثات فشوهت ما كان من بهجاتها تشويها
لا أعذل الايام ان قصائدي ملء العوالم السن تطريها
الشعر عندي آيتان فآية توحى إلي وآية أوحيا (١)
احمد محرم

بدء الحديث

أسباب عظمة أميركا

وما يجب ان نستفيد منها

﴿ اذاك زمن ضائع ﴾ قال بعض الاصدقاء (ان الجامعة أضاعت اربع سنوات خارج مصر . فلو بقيت هنا لاستفادت أضعاف ما استفادته من رحلتها الى البلاد الاميركية) ولكن هل يقال هذا القول للطلاب الذي يدخل مدرسة ويقضي فيها اربع سنوات يتلقى في اثنائها احد العلوم او الفنون . أو الطبيب الذي يتم درس صناعته ثم يقصد أوروبا ليصرف في احد مستشفياتها زمناً طويلاً يدرس فيه درساً عملياً ما درسه في مدرسته درساً نظرياً . أو السائح الذي يجوب القفار وينفق الدرهم والدينار ويعاني مشاق

(١) بيتك هذا وحده يعدل قصيدة لجماله وحسن نظامه . فأذن لي بان اختم المذال بهذا الثناء على فضلك وحسن ظنك . ولا تعدّ من سوء الأدب ان صديقاً لك احسنت ظنك فيه واتحفته بشيء من نفيس شعرك اجترأً وواجه بعض ابياتك الحسان بنقد او معارضة . فان هذه هي الطريقة الوحيدة التي امكنتني معها نشر قصيدتك لنشر فضلك وشكرك لحسن ظنك بصديقك .

السفر في الليل والنهار ادراكاً للغاية التي من أجلها خرج يضرب آباط المطايا او يركب سفن الجار وقطر البخار . كلا فان جميع هؤلاء لم يضيعوا اوقاتهم سدى . ومن حسن حظ الجامعة انه اتبع لها ذلك السفر البعيد الذي (وسع أفقها) وأراها من ذلك الكون العظيم ما رأت وأسمعها ما سمعت بعد معيشتها الى ذلك العمر في زوايا الشرق الساكنة

قضينا خارج مصر نحو اربع سنوات جلنا في اثنائها في ولايات فرنسا امّ الحرية والجمهورية . وابطاليا أمّ الفنون والجمال . وأميركا الشمالية بلاد العجائب والغرائب . وكندا ملئى المدنية الانكليزية والفرنسية . وسحنا مدة اربعة أشهر في ١٢ ولاية من الولايات الاميركية (١) فزرنا كثيرا من مكاتبها ومناحفها ومدارسها وانديتها ومعاملها ومزارعها ومناجها ودرسنا شوئون بعض مدنها الكبرى والصغرى درس طالب يأخذ العلم عن استاذ خبير وراقبنا روح الشعب في المدن والقرى مراقبة مستفيد خلىّ الذهن يدرس ليتعلم لا يتحكم . ورأينا في الشوارع والاسواق والمعامل والمحازن — رأي العيان — تلك الاكتشافات والاختراعات الحديثة التي نكدّ الذهن ونتعب البصر والفكر لنستخرج أخبارها من المجلات والجرائد ونحن جلوس في الشرق وراء الدواة والقلم . وشاهدنا عظمتها التجارية والصناعية والزراعية التي لا تجتري على منازعتها فيها أمة من الامم . وخدمنا في أثناء ذلك اخواننا المهاجرين من الشرق الى تلك البلاد البعيدة الخدمة التي قدرنا عليها فصار اصدقاء الجامعة فيها يعدّون بالمئات واصبح اسمها بينهم هناك في كل شفة وفم .

نقول هذا القول لقراء الجامعة في الشرق الذين لاموها لانتقالها الى تلك البلاد البعيدة ومفارقتها البلاد الشرقية . وغرضنا من بسطه هنا ان نقول لحضراتهم ما قاله الشاعر (وكان شغلي عنك بك) فاننا برحلتنا الى اميركا قد خدمنا نفوسنا وخدمناهم وسيرون أثر ذلك في المجلة باذن الله . فلم يضع اذاً ذلك الزمن عليهم او عليها

✽ فلندرس شوئون اميركا ✽ ولما كان القراء يتوقعون ان يجيدوا في كل جزء من الجامعة بعد عودتها من اميركا دروساً ومباحث في مدنيّتها وعجائبها وغرائبها وشوئونها

(١) وهي ولاية نيويورك وكناتكت ورود آيلند وماستشوستس وماين ونيوهمشير (فضلاً عن ولايتي كندا المتاخمتين لها وهما كوبك وازاوى) وبسلفانيا واوهايو واندانا والنويز

العمومية والخصوصية اي الشؤون التي تشارك اميركا سائر الامم فيها والشؤون التي انفردت واستقلت بها دون غيرها فقد شرعنا ابتداءً من هذا الفصل في كتابة مقالات متسلسلة تشرح حالة تلك الامة العظيمة وتظهر اسباب عظمتها وتدل على مايجب ان تأخذه عنها وما يجب تركه اما تركاً دائماً او الى حين ولسنا نزع اننا بما ننشره نكتشف اميركا اكتشافاً جديداً فانها قد اكتشفت منذ زمن بعيد واليك مؤلفات سياح اوروبا فانها كثيرة في هذا الباب . على انه من الغرابة اننا لم نقرأ كتابين لكاتبين كتبوا في هذا الموضوع الا ورأينا اختلافاً في الحكم على اميركا ورجالها وأشياءها . فمنهم من يمدح ومنهم من يقدح والمتصفون قليلون في هذا كماهم قليلون في كل أمر . اما نحن فسنسلك في هذا الموضوع سبيلاً يرضي اولئك الاضداد ويجعل للقارئ سبيلاً الى الاستقلال والاستدلال . وذلك ان نروي اراء الفريقين ونضم اليها ما ارشدتنا اليه اختباراتنا الخاصة فيصبح القارئ وهو قادر ان يحكم بينها بنفسه بحسب رأيه وميله وتربيته .

ان تلك المراحل الهائلة التي تغلي في الطرف الآخر من الكرة الارضية وسط جلبة هائلة هي اعظم جلبة عملية صدرت عن جمعية بشرية في الكرة الارضية — لمي جديرة بالدرس . وابناء الشرق الساكن الهادىء احوج الى هذا الدرس من غيرهم وخاصة في هذا الزمان الذي زحف فيه الغرب على الشرق بنجيلة ورجله فاما ان بدوسه ويمر في سبيله على جثته كما مر المتأخرون على جثث الامم التي تقدمتهم وساروا في سبيلهم لا يلوون على شيء واما ان يجاريه الشرق ويقتبس نشاطه وقوته وجرأته ونظامه ويسير معه ككتف الى كتف في سبيل المستقبل فيسلم ويقوى على الحياة (التي تستحق ان تدعى حياة) . وفي اعتقادنا انه ليس في المدنيات الحاضرة مدنية اصولها وقواعدها هي الدواء الشافي لداء الشرق الدفين كالمدينة الاميركية المبنية على تآخي العناصر والجنسيات في ارضها تآخياً فعلياً واتحاداً اتحاداً حقيقياً مما الفروق من بينها وجعلها امة واحدة تحت ظل (العمل) الدائم المستمر الذي يشغل المرء عن كل شيء حتى عن نفسه وينقي جو فكره من كل شاغل لا بدعي (عملاً . وثقوة . وحركة . ونشاطاً . وكسباً) وينفره من الجدل العقيم الذي ما تسلط على امة الا افسد امورها طبقاً لما جاء في الحديث (اذا غضب الله على قوم سلط عليهم الجدل) .

وا اسفاه . اين روح العصر ومقتضياته وحاجاته من الروح التي تصوورها لنا كتب الدين والآداب والاخلاق الكريمة . اين ما يدرسونه في مدارسنا مما نراه في ميدان الحياة . ان الشرق رافد بسكون على آثاره واطلاله الدينية القديمة البالية وشعاره الاستكانة

والهدوء، والاحلام وهو يعلم ابناءه في المدارس ما كان ابناء الغرب يتعلمونه في القرن السابع عشر والثامن عشر من المبادئ، والكتب التي تضعف نفوسهم وابدانهم وتجعل جو افكارهم يعزل عن جو الحياة الحقيقي — بينما اهل الغرب يسبرون وشعارهم القوة والنشاط والاقدام قبل كل شيء، ويفرسون هذه الصفات في نفوس أبنائهم بدروس عملية واختبارات شخصية ورياضات بدنية وتربية مسئلة تجعل الفرد قابضاً على زمام نفسه عالماً بجهد الحياة ومقنضياته وحاجاته قبل دخوله ميدان الحياة ومستعداً لهذا الجهاد اتم استعداد. ونحن لا نقول ان هذه التربية افضل من تلك ولا تلك افضل من هذه فان البحث في هذا بحث في الشرائع الاديوية والاجتماعية ومبدأ الحياة وغايتها والحكم فيها حكم بين مبدأين يتنازعا بنى الانسان منذ زمان وهذا موضوع ليس هنا موضعه . ولكننا نقول ان روح العصر يقتضي الآن تلك (التربية القوية) وان الشرق اذا كان يكره الموت ويريد الحياة فعليه بازاء الحركة الوضعية التي ملأت آثارها الدنيا وتسلمت (بحق او بغير حق) على جميع شؤون الحياة ان يقدم على تلك التربية . واذا كانت مذاهب الدينية (او غيرها) هي التي تحول دون تربيته التربية الجديدة المطلوبة وتجعل نفوس ابناءه ضعيفة منصرفة عن العمل الى الجدل وتغني ما فيها من نشاط وقوة اذ تحولها احلاماً واوهاما وتمنع ابناء الوطن الواحد من ان يتحدوا ويعيشوا كلمة واحدة جميع قوى أبنائها منصرفة الى زيادة منافهم ومرافقهم بدل انصرافها الى منازعة بعضهم بعضاً منازعة تضعفهم جميعاً ولا يستفيد منها الا الأجنبي — فعليه (اي الشرق) ان يضع الدين جانباً في مكان مقدس محترم لا يتعداه — ولا اكرم من الكنائس والجوامع — وينبذ بلا شفقة ولا رحمة كل عثرة تعترضه في هذا السبيل وان استهدف لأعظم المقاومات . ولا نضمن بعد هذا ان يكون الكون افضل مما هو الآن ولكننا نضمن ان الافراد يكونون اقوى ونكون نحن الشرقيين اقدر على منازعة ضيوفنا وجيراننا البقاء والمعيشة بجانبهم في بلادنا دون ان يأكلونا أو يستغرقونا . وهب ان تلك التربية القديمة افضل واجمل فاننا احوج الآن الى هذه التربية الجديدة التي هي سلاحنا الوحيد في الدفاع عن انفسنا وحفظها . والا فكل صراخنا وعويلنا لا يفيدنا شيئاً مادام الحق للقوة في هذا الطور البشري . والله أعلم متى يصبح الحق وهو قادر على ان ينتصر بنفسه دون ان يعتمد على قوة تنصره غير قوته الذاتية .

فلندرس اذاً معاً مبادئ المدينة الاميركية التي هي الآن اشد المبادئ البشرية جمعاً بين القوة والنشاط والعمل والحركة . المبادئ التي هي الآن (استاذة) النشاط

في العالم أجمع ولديها يقف الاورويون انفسهم حيارى مدهوشين . ندرسها لا
انجذب بكل ما فيها فان لها سيئات كما لها حسنات ولكن ندرسنا لتستمد من روحها وحي
النشاط والقوة الذي امتازت به ونحن الآن في هذا الطور من مدينتنا (او ابتداء
مدينتنا) في حاجة الى هذا الوحي كما كنا في ماسبق في حاجة الى ذلك . ولو ادرك اليوم
نييتش مدينة اميركا ودرسها بنفسه درساً دقيقاً لظن ان القوم في كثير من مسائلهم انما
يعملون بمبادئه ولجعل بطله (زارانتوسترا) الهائل ينبأ ان الانسان الذي صورّه (فوق
الانسان) ودعا الى ايجاده في جميع كتبه سيكون منبته في الولايات المتحدة . . . اذا استمر
ارتقاؤها مطرداً

﴿ وصف شعري ﴾ ولكن قبل ذلك :

يقولون لي صفها فانت بوصفها خبير — أجل عندي باوصافها علم
وحيث وجها السؤال هنا شعراً فلنعملن الجواب شعراً ايضاً . . . وهي ابيات نظمناها
في اثناء سياحتنا في الولايات المتحدة بين جبالها واوديتها وسهولها وحزونها ومدينها وقراها
فانظر الى معاني الايات لا الى الفاظها لان النظم هنا كنظم كل من اجترأ على الشعر وهو
ليس من أهله فنظم قصيدة كانت (بيضة الديك) العمر كله .

عج بالجبّال ولا تعج بالوادي	ان شئت رؤية هذه الامجاد
واركب لها قطر البخار فقدمضى	عصر النياق وصوت ذاك الحادي
العيس بادت والطلول عفت فما	يلقى لها من نادب أو هاد
واطلب اليها ان تطير ولا تقل	(مهلا فانك سائر بفوائدي)
الوقت مال والزمان زمان ركض	لا زمان تخت ورقاد
وتداعب في (الرقتين) و (حومل)	و (السقط) أو في الندب والتعداد
الوقت وقت ارادة صماء تصرع	كل معترض سبيل جهاد

*
*

ولقد سعدت الى الجبال أرى الوري	واقيس حالهم بحال بلادي
فبت لي (الارض الجديدة) (١) مثلاً	تبدو المدينة من ذرى منطاد
وتثلت لي بين اتلانتيكها	ذاك العجاج وبين ذاك (الهادي) (٢)
كعالم من غير دنيانا بدت	تزري يبابل أو بذات عماد

(١) الارض الجديدة اميركا (٢) الهادي الاوقيانوس الباسفيكي

شعبٌ عظيمٌ هائلٌ متفرق في واسع الاغوار والانجناد
مدن كما انتشرت نجوم القبة الزر قاء او كالرمل في التعداد
والله لا ادري اأسهل ان اعدَّ بلاد هذا الشعب عدَّ سداد
او ان اعدَّ شعوبه (١) وكلاهما صعبٌ وفيه حيرة المرتاد
في الشرق بيروت وقاهرة ولكن كم هناتلقى (٢) من الاضداد
في الشرق لبنان وحيد انما كم ههنا من شائح الاطواد
في الشرق ارضٌ قدست بنبوءة ظهرت بها قدماً وغاب الهادي
وهنا اراضٍ قدست بالالهة الحسرية القصوى وهديٌ بادٍ
هذي شرائعنا الجديدة فانظروا آثارها يا معشر الزهاد
شرع جديد لست ازعم انه ابهى وأجل من شرائع عاد (٣)
لكنتي لا استطيع اذا رأيت جميله في البر والاسعاد
ونظام عيش الناس فوق سهولة الكسب الجزيل وأمن كل معادي
ووداد اقوام يوالف بعضهم بعضاً بلا ضغنٍ ولا احقاد
ان أنكر الشمس الجلية في الضحى واقول خير الشرع شرع الفادي (٤)
او شرع ذلك المرسل الغازي الذي ملاً الورى قسطاً وحسن ابادي (٥)
او شرع ذلك الصالح المقطوع في حرش يسائل ربه وينادي (٦)
مات القديم فكفونوه فما له ما بيننا من رجعة ومعادٍ
الارض تحتاج (الارادة والعزيمة والنشاط) وليس وحي الدين والارشاد (٧)
فيها ارتقت هذي البلاد وانها مرفاة كل تمدن وبلاد
هذا كلام نبيتش ان نبيتش كان مقوم المعوج والمنشاد
في زعم بعض الناس اما مذهبي فيه فابقيه الى ميعادٍ
❖ اسباب عظمة اميركا ❖ اول شيء يتبادر الى الذهن هذا السؤال وكمن مرة
القاه علينا بعض الادباء في الولايات المتحدة . وهو : « ماهي الاسباب الرئيسة التي جعلت

(١) جميع اجناس البشر موجودة في الولايات المتحدة (٢) اي هي تلتقى (٣) اي
الشرائع القديمة كقدم عاد (٤) المسيح (٥) محمد (٦) بوذه (٧) هذا الكلام منظوم عن
لسان الفيلسوف نبيتش لا عن لسان الناظم

اميركا في مائة سنة في المنزلة التي بلغتها ولماذا اختلفت مدنيتهما عن مدينة اوروبا مع ان الاميركيين اورويون اصلاً . ومن اين جاءوا بتلك الصفات المدهشة صفات النشاط البالغ حده والقوة العملية التي ليس مثلها قوة حتى في وطنهم القديم نفسه (اوروبا) . وبعبارة أخرى ماهي الاسباب الخفية التي جعلت اميركا اميركا كما نراها الآن)

علي ان الجواب عن هذا السؤال جدير بان يكون في خاتمة مباحثنا في اميركا وشؤونها لانه عبارة عن اجمال لجميع مدنيتهما . ولكننا قد مناه خاصة لتبسط للقاريء ذلك الاجمال قصد ان يلمّ بخلاصته اولاً . تأييداً للنظريات التي نشرناها في ما تقدم

تعرو مريد الكلام عن اسباب عظمة اميركا في مقالات مختصرة حيرة حين شروعه في بسطها . ذلك لان الكلام عنها يتناول الاسباب والاسباب من شؤون الكتب والمجلدات . فنكتفي بالاشارة الى اهم تلك الاسباب

١ - واول تلك الاسباب ثروة الارض في الولايات المتحدة ونريد بالارض هنا (ما على سطحها وما تحته) اي خصب التربة والمعادن . فان الطبيعة خصتها من سان فرانسيسكو حتى نيويورك (١) ومن شيكاغو الى تكساس بنحسب زراعي ومعادن مدفونة لم تخص بها ارضاً سواها . واذا قيل ما سبب هذا التخصيص فالجواب ان سببه القواغل الجيولوجية والارض لا تزال عذراء واكثرها غير مأهول لم تمد اليه يد الانسان بعد خلافاً لارض اوروبا التي ضعفت وهزلت لكثرة العمل فيها وكادت تنفذ منها معادنها . فانه في بعض النواحي كولاية بنسلفانيا المشهورة بكونها بلاد المعادن يكفي في استخراج الغاز من الارض ان تغرس فيها اسطوانات معدنية فيجري الغاز منها . ومنايع البترول التي اغنت ركفلر وشركاه اشهر من ان تذكر وهي في الارض كأنهار تجري على عمق يتراوح بين ١٠٠ و ٩٠٠ متر تحت سطح الارض وتنساب في اسطواناتها المصنوعة لها على مسافة مئات من الاميال جارية الى مخازن الشركة . وبجانب ينابيع الغاز وينابيع البترول معادن الفحم على جميع انواعه والذهب والفضة والقصدير والرصاص والنحاس الخ . وليس ظهر الارض باقل ثروة من بطنها . فقد شاهدنا في مكتب الحكومة الاستعماري في منتريال (كندا) فحماً ارتفاع سوقه كارتفاع الانسان . وخصب الارض في ولايات كاليفورنيا واوهايو ولوزيانا وتكساس امر مشهور . وحسبك زراعة القطن الاميركي المشهور في لوزيانا

(١) اي من شاطئها الغربي في الاوقيانوس الباسفيكي الى شاطئها الشرقي في الاوقيانوس الاطلانتيكي

وتكساس الذي تعتمد عليه معامل اوروبا ويرقص بورصاتها في مصر وتجارها وسماسرتها ومن التفّ حولهم تارة الفالس وطوراً البولكا . وحيواناتها ومواشيها متعددة الاجناس كثيرة النوالد في مراعيها الخصبية المتسعة التي لا يدرك الطرف آخرها . واحراشها هائلة لسعتها وكثرتها وضخامة اشجارها وحسبك منها الاشجار المشهورة في كاليفورنيا بان عمرها ثلاثة آلاف سنة وقد عاصرت اليونان والرومان الاقدمين (١) وانهارها اعظم انهار في الدنيا

ففي ارض اميركا مجموع المادة الاولى الضرورية لثروة الامة وعظمتها . فما يعوز سكانها لينهضوا ويعظموا ؟ لا يعوزهم الالهة وخبرة . وقد تمت لهم كما ترى في مايلي

٢ - كانت طائفة البيورتين اول من هاجر من اوروبا الى اميركا فراراً من الاضطهاد الديني ورغبة في ان يعيشوا مستقلين بعاداتهم وشرائعهم في ارض ليس فيها لاحد سلطة عليهم . ثم لما عمروا المدن وقطعوا الغابات وانشأوا الحقول وصارعوا الطبيعة والحيوانات الوحشية اخذ ينضم اليهم كل من ضاقت به اوروبا لاشتداد الفقر فيها . فالمهاجرة الى اميركا كان اصلها امرين . الاول الفرار من الاضطهاد الديني والثاني ضيق اوروبا عن اهلها وفقرهم . وغني عن البيان ان الذي ذاق عذاب الاضطهاد الديني ينفر منه وهذا اصل تأيس التساهل الديني في اميركا . فان أولئك السذج الكريمي الاخلاق الذين فضلوا احتمال النفي والعذاب على الرجوع في معتقداتهم كرهوا ان يجترعوا نفس الجريمة التي اجترعها وطنهم الاول وافادهم اختبارهم فيه وهذا منشا التساهل الديني الاميريكي . وقد قلنا ان السبب الثاني الذي دفع المهاجرين الاولين الى المهاجرة هو الفقر وطلب الرزق لضيق وطنهم الاول بهم فنشأ عن هذا انهم انصرفوا بكليتهم الى العمل في دار هجرتهم وتركوا المنازعات القديمة رغبة في السعة والكسب . فالنقيضتان اللتان كانتا سبب هجرتهم كانتا ايضاً من اعظم اسباب نهضتهم ووحدتهم

٣ - وكان المهاجرون الاولون الى اميركا خليطاً من الانكليز والفرنسيين والالمانيين والاسكوتلانديين والاييرلنديين والايطاليين والتمساويين الخ . وكل واحد منهم يحمل في نفسه فضائل ونقائص بني جنسه . الا ان اختلاط دمائهم بالزواج اولد منهم نسلأً جديداً بعيداً عن النسل الاوروبي . وكان العنصر الانجلوسكسوني كثيراً بينهم فاتخذ

(١) اسمها عندهم (بيك تريس) اي الاشجار الكبرى ولكن اسمها العلمي

Sequoia gigantea او wellingtonia

نسلمهم كثيراً من اخلاقه الجديدة وثباته في العمل . ثم انهم بلغوا اميركا وهي صلعاء عذراء فكان على الواحد منهم ان يكون حطاباً يقطع الاشجار لينشيء حقلاً ومزرعة يعيش فيها وبعد ذلك يحرث الارض ويزرعها ومرتاداً يذهب لاكتشاف ارض جديدة له وجندياً لمحاربة الوحوش التي تسطو عليه وعلى مزرعته والصوص الذين يطعمون في سلبه وتاجراً لبيع حاصلاته الخ. فكان الواحد يعمل صنوفاً كثيرة من الاعمال التي توزع عادة على كثيرين في الهيئات الاجتماعية المنتظمة وهذا الجمع بين اعمال عديدة انشاء في ذلك الجيل ونسله قوة جديدة لم تكن له من قبل . ولما كان ذلك الجيل قد اقتبس من اوروبا وطنه الاول جميع اختباراتهما وطرق معيشتها أخذ ينفذ في وطنه الجديد تلك الاختبارات والطرق التي كان قد اقتبسها ويزيد عليها ما يراه

٤ — وكان البناء في وطنه الجديد سهلاً . اولاً لان المادة الاولى التي تنشأ الامم بها ونعني ثروتها الطبيعية موجودة بغزارة في الارض كما تقدم وثانياً لانه ليس في تلك الارض تقاليد ومنازعات واختلافات سياسية او دينية تحول دون البناء على سنن العقل والعدل حسب مصلحة الباني ورأيه . وبينما كان الشعب الاميركي يبني ويعمل ولا تقليد يعارض عمله وبناءه كانت اوروبا تتنازعها الأحزاب وأغراضها والمذاهب وتقاليدها والحكومات وتخاصمها والثورات الداخلية والحروب الخارجية . ألا ترى ان الحكومة مفصولة عن الكنيسة في اميركا منذ زمان وقد انفصلت بلا ضوضاء ولا نزاع . ولكن لما فصلت الحكومة عن الكنيسة في فرنسا منذ بضعة اعوام كادت الاحزاب تحرب فرنسا ولا يزال النزاع في هذه المسألة مستمراً (راجع منشور الاساقفة الفرنسيين في الشهر الماضي)

٥ — وارض اميركا واسعة فانها تعمل الآن ٨٥ مليون نسمة وهي قادرة على ان تعمل ٢٥٠ مليون نسمة . فان مساحة ولاية تكساس وحدها اكثر مساحة من فرنسا وليس فيها الا جانب منها مأهول ومزروع . وقد حسبوا فوجدوا ان لكل عشرة انفس في اميركا كيلو متر مربع من الارض مع ان مساحتها اضعاف اضعاف مساحة فرنسا وانككترا مثلاً ولا يسكن في الكيلو متر من ارض فرنسا اقل من ٧٥ نفساً وفي انككترا للكيلو متر المربع ١٤٠ نفساً هذا مع كون عدد سكان كل من انككترا وفرنسا نصف عدد سكان الولايات المتحدة . فبقي اذاً ان الارض التي يمكن ان يتمتع بها ٢٥٠ مليون نسمة ملقاة بين ايدي ٨٥ مليون نسمة فقط فهي تزيد عن حاجاتهم وهذا سبب من اسباب سعتهم . ٦ — ولما كانت الارض تحتاج الى السكان هذا الاحتياج لتعميرها واستثمارها كانت

المهاجرة اليها قائمة على قدم وساق من جميع اقطار العالم . ففي كل عام يدخل الى اميركا من المهاجرين مليون نفس وزيادة . وبعض الولايات الاميركية تنفق الوقتاً من الريالات على الاعلانات في الجرائد لتجتذب المهاجرين الى ارضها وتحصهم بامتيازات كأنقاص اجرة سفرهم اليها في السكك الحديدية وسهولة ادخالهم في الجنسية الاميركية وما أشبه . وحسبك ان تقف على تأريخ عمران مدينة شيكاغو لترى العجب من هذا القبيل . كان عدد سكان مدينة شيكاغو في سنة ١٨٣٧ نحو اربعة آلاف نفس . وفي سنة ١٨٧٠ بلغوا ١٠٠ الف نفس . وفي سنة ١٨٩٠ جاوزوا مليون نفس واليوم كادوا يبلغون مليوني نفس . اي ان عددهم زاد في اربعين سنة عشرين ضعفاً فبعد ان كان ١٠٠ الف اصبح مليونين . فتأمل . وهذه المهاجرة من أعظم اسباب عمران اميركا .

٧ — قد خطر لنا في ذات يوم ونحن في اميركا ان نكتب فصلاً عنوانها (الامور التي تحبب اميركا الي والامور التي لا تحببها الي) وكان في نيتنا ان نجعل في مقدمة الامور المحببة فتح اميركا ذراعيها للمهاجرين اليها من جميع اقطار العالم على شرط ان يكونوا اصحاء الابدان والقول ومحبين للعمل فلا يكونوا عالة على خزينتها بعد دخولهم بلادها . ولا تكنفي بان تفتح لهم ذراعيها بل تتخذ اصغرهم كاكبرهم واحقرهم كاعظمهم ابناً لها تكتنفه بحمايتها وجنسياتها اذا اقام خمس سنوات في ارضها وطلب ذلك اليها . فيصحب وهو المهاجر الصغير الحقير ابناً للبلاد شريكاً لروزفلت وتفت وبرايين وركفلر في حقوق الحكومة والامنة له المالم وعليه ما عليهم في وسط (كله غريب ولا غريب فيه) لان جميع الامة اصلها غريب . وهذا هو السبب في حب الغرباء لاميركا وحرصهم على مصالحها بعد دخولهم في جنسيتها كحرص الاميركيين انفسهم . ان روزفلت هولندي الاصل وكفى . وجميع ابناء الغرباء الذين يولدون في اميركا حتى ابناء الانكليز والفرنسيين والالمان انفسهم يتعلقون باميركيتههم ويحبونها . فسقياً سقياً لك ابتها الارض العظيمة الهائلة التي فعلت ما لم تقوَ الامة على فعله في الارض وهو مزج الجنسيات والعناصر المختلفة وتأليف أمة واحدة منها . ويحق لاميركا الفخر بمدارسها وعلى الخصوص مدارسها الابتدائية الالزامية التي هي وحدها فعلت هذه المعجزة . واذا كان احد في الشرق يعارض في ادخال هذه الطريقة المدرسية اليه (على شرط ان يراعى فيها جميع اصولها مراعاة مطلقة) فما هو بناصح ولا مرید له الخروج من وهدة القديمة

٨ — ان اتساع البلاد يقتضي كثرة الايدي التي تعمل فيها لنتمكن من القيام بمحاجاتها

ولما كان عدد السكان قليلاً بالنسبة الى اتساع الارض وكثرة حاجات السكان فقد نشأ عن ذلك ارتفاع الاجور حتماً . ورب عامل في عزق الثلج في شوارع نيويورك اجرته ثلاثة ريبالات في النهار (١٥ فرنكاً) وخمسة ريبالات في الليل . وارتفاع الاجور يجتذب المهاجرين من جميع الاقطار ويمكنهم من أن يعيشوا في شيء من السعة معيشة نظيفة منظمة وان يتزوجوا ويربوا اولادهم . ويعلمون . فارتفاع الاجور يعمر اميركا من جهة ويرقي شؤون العملة من جهة أخرى . ثم كم من الاغنياء ككرونيجي وغيره اصبحوا من اصحاب الملايين وكانوا منذ سنوات عملة وأثروا باحدى طرق الاتراء الكثيرة هناك . وفكرة الاتراء العاجل تملأ مخيلة كل من يعيش في اميركا للسبب الذي تقدم . وعندهم في هذا الصدد عبارة مشهورة وهي (انني اتوقع تشانش) اي فرصة . وارتفاع الاجور مع هذه الفكرة هما السبب في ضعف شوكة الاشتراكية في اميركا وعدم تأثير الاشتراكيين في الشعب ذلك التأثير الهائل الذي لم في اوروبا وخاصة في فرنسا والمانيا حيث العملة في فقر مدقع . فرب عامل في فرنسا او المانيا اجرته في الشهر اربعون فرنكاً ينفق منها هو وزوجته واولاده مع ان اصغر واحقر عامل في اميركا لا يرضى هذه الاجرة في اسبوع

٩ - وارتفاع الاجور ينتج غلاء المعيشة وكثرة النفقة بحسب ناموس الأخذ والعطاء . فينفق المرء عن سعة ليمتتع بثمره كسبه . فينتج هذا التمتع زيادة في النفقة ايضاً . ويصبح هم الناس في زيادة الكسب ليقدروا على تلك النفقة والا ديسوا دوساً فتشدد عزيمتهم في العمل لزيادة كسبهم واتقاء الحاجة . ومصيبتهم هذه من اسباب نشاطهم وقوتهم . ورب شر أنتج خيراً

١٠ - أضف الى تأثير الوسط في هذا الزحام الهائل تأثير الجو ايضاً وهو ما يسمونه (تأثير الاقليم) . وهذا التأثير ظاهر كل الظهور في انحاء الولايات المتحدة نفسها . فانه لا يخفى ان في هذه الولايات اربع ساعات كل ساعة متأخرة عن الأخرى ساعة . وبعبارة أخرى نقول ان فيها الصيف والشتاء والربيع والخريف في وقت واحد . فبينما يكون الزمهرير في ولاية نيويورك الشرقية يكون حر الصيف في ولاية تكساس الجنوبية واعتدال الربيع في ولاية كاليفورنيا الغربية . والولايات الباردة الشرقية (نيويورك بنسلفانيا اوهايو ماس الخ) هي الولايات الاكثر عمراً والاعظم مدنية والاشد نشاطاً وقوة . وكما خصت ارض الولايات المتحدة بصفات جيولوجية ومترولوجية ليست لغيرها (١) قد خصت جوها ايضاً

(١) سنشرح ذلك في اثناء الكلام عن غرائب ارضها وعجائبها كالبحيرات والانهر

بصفات غير اعتيادية • فان الطبيعة فيها شديدة قاسية وأحداثها تتخذ صوراً هائلة . فالزوابع تشد فتخرب عشرات من البلدان في يوم واحد والارض تنزل زلزالها فتهدم مدينة كاملة (كسان فرنسيسكو) • والناس يموتون في الصيف من فرط الحر وفي الشتاء من شدة القـر • فجو كهذا الجو يساعد (مبدأ الانتخاب الطبيعي) فلا يعيش فيه الا الاقوياء الاصحاء • وهو يزيد قوتهم وصحتهم متى احتملوا المعيشة فيه • وبالتالي يزيد نشاطهم •

١١ — بقيت هناك أسباب أخرى عديدة نجعلها هنا اجمالاً لان تفصيلها سيرد في أثناء كلامنا على عظام اميركا ومعجزاتها فضلاً عن ان تفصيلها يطيل الموضوع اطالة لا تحتملها فصول المجلات • فمنها (اولاً) المدارس الابتدائية الالزامية التي تخرج أبناء جميع العناصر والمذاهب وتجعلها امة واحدة (انظر الفقرة السابعة) والمدارس العليا العلمية والصناعية والتجارية والزراعية التي تكمل فعل المدارس الابتدائية وذلك بتعليم أبناء الامة تعليماً عملياً يطلق ايديهم وعقولهم معالماً كما كثر مدارسنا الشرقية التي (تطلق العقول وتغل الايدي) • ومنها (ثانياً) تقديس مبدء العمل وعدم الاستعيا فيه • وهذه مزية كبرى لاميركا واهلها والمهاجرين اليها • فان المهاجر الاديب المذهب في المدارس يستحي في بلاده ان يكون مثلاً عاملاً في احد المعامل ولكنه في اميركا يرى ان روح البلاد كلها عمل في عمل وكل عمل شريف عند أهلها حتى اصغر الحرف والمهن ففسري اليه هذه الروح ويعمل مع العاملين وان لم يعمل طوعاً عمل كرهاً فراراً من الفقر • كان في الباخرة التي سافرن عليها من اوروبا الى اميركا شاب مذهب فرنسوي فبعد وصولنا الى نيويورك باسبوع وجدناه يخدم في مطعم فرنسوي مشهور هناك وقد احفى شاربيه الجميلين وهو يكسب من راتبه ومن هبات المترددين على المطعم ٢٥ جنياً في الشهر • ثم كم من مرة رأينا سائق عربة شحن قدر اللباس واليدين تحييه في الشارع بابتسامة ونظرة فاتنة فتاة انيقة اللباس رشيقة الحركات يطلع البدر من قميصها فكانها من طبقة السيدات المترفات ولكنها

المعدنية الباخرة على الدوام ومغارة مموت المشهورة في ولاية كنتكي وطولها ثلاثمئة كيلومتر في جوف الارض وفيها آكام واودية ودهاليز وشقوق وساحات ولم يكتشف بعد الاجانب منها • والاخايد المنفرجة في مكان واحد تلفظ على الدوام ليلاً ونهاراً بخاراً وغازاً وماء بدرجة الغليان • وتخض ارضها بلا انقطاع تقريباً كأن اعصابها اعصاب فتاة شديدة التأثر لم تحمد الايام حداثها بعد • وغير ذلك من الغرائب التي بلذ تفصيلها • والسياح يقصدونها افواجاً لمشاهدتها •

في الحقيقة صديقه او صديقة اخته او خطيبته او اخته او قريبة له . فهذا السائق يداه في النهار في العمل الحسن الشاق الذي ليس بالنظيف ولكنه بعد انصرافه منه شاب يسكن بيتاً نظيفاً ويعيش معيشة نظيفة مرتبة ويقرأ الجرائد والمجلات ويتردد مع خطيبته على المراسم والمنزهات بملابس نظيفة جميلة كأنه (خواجا او افندي) كما نقول في بلادنا . ومنها (ثالثاً) تعرفتهم الجمركية المشهورة التي بنت في بلادهم دون السلع والبضائع الاجنبية سوراً من حديد فراجت عندهم مصنوعاتهم الوطنية رواجاً عظيماً امكنهم معه ان يتحكموا في رفع اثمانها وزيادة اجور عملتهم وبيع الارباح الطائلة . ومن البضائع الاجنبية ما يضر بون عليه في الجمر ك ٦٠ في المائة ضريبة ليؤذن بادخاله . فانجزر مد البضائع الاجنبية عن بلادهم ونمت صناعتهم بهذه الحماية الهائلة التي يمكنهم معها ان يبيعوا مصنوعاتهم في بلادهم باثمان ارخص من المصنوعات الاوروبية التي تضرب عليها تلك الضريبة . وبسبب نمو صناعتهم كثرت مصنوعاتهم وحاصلاتهم فعظمت تجارتهم واصبحت تلتس لها منافذ الى الخارج وتزحم تجارة العلم اجمع . ومنها (رابعاً) عنايتهم بتقوية ابدانهم كعنايتهم بتقوية نفوسهم وعقولهم وذلك بالرياضات والالعاب البدنية في المدارس والكلبات والاندية الخصوصية والساحات العمومية . وكثيرون يذهبون للنشاط الاميركي وقوته الى تعلقه الشديد بهذه الرياضات والالعاب وهذا موضوع سنفرده فصلاً خاصاً لانه من الاهمية بمكان . ومنها (خامساً) حكمهم انفسهم بالطريقة الوحيدة التي تنطبق على اخلاقهم ومبادئهم الاستفرادي (انديفيدالسم) ونعني بها طريقة الاستقلال الاداري لكل ولاية من الولايات . فان لكل ولاية مجلسين نيابيين ودستوراً خاصاً بها وما الحكومة العليا في واشنطن العاصمة ومجلسا الشيوخ والنواب فيها الا واسطة بينها اي بين ولاية و ولاية من جهة و بين الولايات كلها وسائر الدول من جهة اخرى . — وفوق ذلك كله نعمة الحرية المطلقة الى اقصى حدودها — وعلى الخصوص الحرية الشخصية وفضيلة الاعتماد على النفس اللتان تبتان في نفوس الناشئة منذ الصغر فتكونان (كالنقش في الحجر) . فانك اذا عاشرت فتياتهم وفتياتهم عليك ان تسلك معهم كما يسلك مع الكبار لامع الصغار لا اعتدادهم بانفسهم واستقلالهم ومعرفتهم حقوقهم . ولما نكتسب ثقتهم ودادهم وصادقتهم بالهدايا والالاعيب كما نكتسبها بمرعاتك استقلالهم الشخصي واکرامهم كما يكرم الكبار . فلهذه الاسباب كلها نشأت في الولايات الاميركية المتحدة امة نشيطة قوية صرفت همها الى العمل وكسب المال لتعيش في سعة وسعتها هذه جعلت شعبها رضى

الاخلاق مطعناً ساكن النفس (طيب القلب) مستقيم الطباع لسذاجته بل اشد اسنقامه من شعب اوروبا كما ذكر بعض السياح الاورويين في كتبهم . ولما كان هم كسب المال مقدماً لدى الاميركيين على كل هم اصبحت قيمة الانسان عندهم ما (يكسبه) لاما (يحسنه) كما قال الشاعر العربي . وفي الحقيقة ان (الكسب) و (الاحسان) في اميركا امران قلما يلتقيان . فكل شيء يعمل فيها انما ينظر الى سرعة عمله وعظمته وضخامته لا الى اجداته واحسانه واتقانه . الاتقان ؟ ليس لديهم وقت للاتقان . وهب ان لديهم وقتاً لذلك وقوة عليه فهم لا يضعونها في هذا الاتقان لان الغرض كسب المال من ذلك العمل لا اتقانه لذاته والبلوغ به الى اقصى حدود الاجادة . فكأنهم في جميع أعمالهم قوم على سفر عليهم انهاء عملهم قبل السفر . انظر الى آلاتهم الصناعية التي يصنعونها وسلمهم وسائر مصنوعاتهم وجرائدهم وآثار مصوريهم وكتابهم ترعى كل ذلك أثر السرعة والضخامة والعظمة وعدم المبالاة بالاتقان . والغريب انهم قدروا حتى الآن بهذه الطريقة على انشاء أعظم صناعة وتجارة وزراعة قامت في العالم . ولكن اذا كانت هذه السرعة والعظمة والضخامة لم تكسبهم حتى الآن جمال الاتقان الفني فانها طبعت في نفوسهم طابع النشاط والقوة والعظمة وجعلتها خلقاً لهم . ومن يعلم ان هذه القوة والعظمة والنشاط لا تضعف متى بلغوا طور الاتقان وتخلت نفوسهم تلك الخفاة والركة والكياسة الملازمة لجمال الفنون . ليست هذه الصفات الجميلة معدودة منذ الآن لديهم ولدى بعض المفكرين هراً ما فقد حيوية ؟ ... الا يستشهدون على ذلك بقولهم ان الثرة لا تحلو وتجود الا قبيل سقوطها ... ولكن الولايات المتحدة لم تعظم تلك العظمة للاسباب التي تقدمت لولم يكن هنالك سبب آخر لم نشر اليه بعد . وهو انفرادها في قارة اميركا وعدم وجود جيران لها اقوياء ينازعونها البقاء ويضطرونها الى التسليح وتجنيد شعبها للدفاع عن نفسها . فانه بينما كانت اوروبا تنوء بحملها الثقيل (السلم المسلح) وتنفق ما في خزائنها من المليارات على هذا التسليح كانت الولايات المتحدة تنفق ما في خزائنها على اصلاح احوال شعبها . ان جيش فرنسا العامل في زمن السلم ٥٠٠ الف رجل وجيش الولايات المتحدة العامل ٦٠ الف رجل ... مع ان عدد سكانها ضعف عدد سكان فرنسا ومساحة ارضها اضعاف ارض هذه . وان الجيش الاميركي العامل لا يزيد عدده عن عدد جيش ركفلر فان لدى ركفلر ٦٠ الف مستخدم يستخرجون له زيت البترول من ارض الولايات المتحدة .

طال هذا المقال فوق ما أردنا وقد كتبناه وهذه التذكارات كلها ما زالت حديثة العهد في نفسنا. وقد صرفنا في كتابته ثلاثة ايام استعدنا فيها في ذهن جميع شؤون الولايات المتحدة وتذكاراتها شأنًا شأنًا وتذكاراتا تذكاراتًا نستخرج هذه الخلاصة منها . وكان مرتب الحروف في اثناء ذلك يغضب ويصبح ويطلب النعمة كأنه ظن ان درس مدنية متشعبة الاصول والفروع عظيمة الاثر والعين كالمدينة الاميركية مما يسهل استخراجها وتسطيره في ساعة او يوم . وبعد مراجعتنا في ذهننا شؤون اميركا كلها حين كتابة هذا الفصل لم يلد لنا شيء كطالعة وداعنا لا ميركا الذي كتبناه في الطريق بعد الرحيل عنها وهو خطاب الى تمثال الحرية العظيم المنصوب في مرفاء نيو يورك يستقبل الواردين و يودع الصادر بنور القبس المرفوع بيده الهائلة وقد مرّت بنا السفينة امامه حين خروجها بنا من المرفاء (١) وقد ضاق المجال عن نشر هذا الوداع في هذا الجزء . فموعدنا به الجزء التالي ان شاء الله .

عقد المسائل الاجتماعية

أثار الكلام فيها سعادة احمد فتحي باشا زغلول وكيل
نظارة الحفانية بكتابه الجديد (روح الاجتماع)

بحث هذا وقته

—8338—

اهدى الينا جناب الفاضل خليل بك صادق صاحب (مطبعة الشعب ومكتبته ومسامراته) نسخة من كتاب (روح الاجتماع) الذي ظهر في الشهر الماضي وهو من تأليف العالم الدكتور غوستاف لوبون الفرنسي وقد عر به سعادة الفضال احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحفانية . وقد أذكرنا ظهور هذا الكتاب العلمي النفيس معرباً بقلم سعادة وكيل نظارة الحفانية قولاً قاله افلاطون في (جمهوريته) وهو : ان اسعد الامم الامة

(١) كتبنا هذا الخطاب على طريقة (الخطبة لدى شلالات نياغرا) التي نشرناها

في الجزء الثامن للسنة السابقة

التي يحكمها العلماء والفلاسفة . وقد رمى افلاطون في كتابه الى تأييد هذه الفكرة وجعلها مدار كلامه ومنتهى غرضه . ومن علم ان كتاب سعادة فتحي باشا الجديد هو سابع كتاب له باللغة العربية وقد وجد فرصة للاشتغال باخراجه الى لغتنا مع ماله من شواغل الوزارة والحكومة فلا يتألك ان يتذكر قول افلاطون هذا .

✽ ماراً بناء في باريز من روح الجماعات ✽ ومن غرائب الاتفاق ان نجد في وجهنا في الاسبوع الذي وصلنا فيه الى مصر كتاباً كهذا الكتاب . فاننا في اثناء رحلتنا اطلنا البحث والتفكير غير مرة في موضوعه حين مشاهدتنا آثار شعوب الارض وآخر مرة كانت في باريز حيث اقمنا فيها ستة اسابيع صرفنا جانباً عظيماً منها في غشيان مجتمعات (الجماعات) التي هي موضوع كتاب سعادة فتحي باشا وكانت يومئذ قضية فرر قائمة في اوروبا على ساق وقدم وجماعات من الفرنسيين يعقدون الاجتماع تلو الاجتماع لاقامة الحجة على سجنه ومحاكمته . فحضرنا جلساتهم وتنا بين صفوفهم وهم الوف الوف في نادي فومال ينادون ويدعون وينشدون وهبت علينا (روحهم) في اثناء مناديتهم وانشيدهم الثورية هبوباً نقشعرت له الابدان . وسمعنا خطب غلاتهم ونخص منهم بالذكر (هرفه) زعيم الاشتراكيين الثوريين الذي كنا نتوق الى استماعه لانه أحدث اثراً في شعوب أوروبا بمبادئه الغربية التي نشرها وتابعه كثيرون فيها والتي اذا نفذت خربت الهيئة الاجتماعية الحاضرة واقامت هيئة جديدة الله اعلم بنتيجتها . ولعل هذه المبادئ وامثالها مما هو اقل غلواً منها (كمباي ، مركس و بيل وجوريس وكسد) هي التي جعلت الدكتور غوستاف لوبون يكتب كتابه (روح الاجتماع) الذي نحن الآن في صده لانه ظهر لنا ان فصول الكتاب بمنزلة رد عليها . راجع الفصل الثاني في (مشاعر الجماعات واخلاقيها) والفصل الثالث في (قواد الجماعات وطرقهم في الانقاع) . فان الصور المرسومة فيهما صور حقيقية كدنا لنسها بيدنا في اثناء تلك الاجتماعات . هذا بقطع النظر عن طبيعية حكم المؤلف عليها .

وفي الحقيقة ان سعادة فتحي باشا زغلول ذو فضل عظيم في توجيهه بكتابه الجديد نظر الجمهور الشرقي الى هذه المسألة التي هي عقدة المسائل الاجتماعية . فان هذا وقت المبحث فيها بينما الشرق يتخض بالم وعناء في هذا الطور من تأريخه ليلد (المستقبل) الذي نرجو ان يكون عظيماً باذن الله . والمستقبل انما يصاغ من افكار الجيل الحاضر وآرائهم نعي افكار قاداتهم وحكامهم واهل الرأي فيهم فضلاً عن (روح جماعاتهم) كما يقول غوستاف لوبون . فمن سداد الرأي ان ييسط للجمهور الشرقي منذ

الآن — بل الآن خاصة — جميع الآراء والمذاهب العلمية والاجتماعية التي تساعده في تكوين مستقبله واثارة طريقه .

﴿ كلمة حاكم ﴾ عرب سعادة العرب الكتاب ولم يبد رأياً في موضوعه . وكل ما كتب فيه من عنده هذه العبارة الجميلة في مقدمة صغيرة « طلب مني ان اضع مقدمة تشرح بعض موضوع الكتاب وتبين طرقاً مما اشتمل عليه فترددت كثيراً ثم رأيت ان اترك الشرح والبيان للقراء انفسهم واذا كنت نقلت الكتاب الى العربية نقلاً صادقاً صحيحاً فان معانيه تنساب في نفس قارئه من دون احتياج الى شرح ولا رجوع الى بيان » وبديهي ان مؤلفاً ومعرّباً يشغل منصباً في الحكومة من اعظم مناصب القطر المصري لا يجوز لنفسه ان يقول في موضوع كهذا الموضوع اكثر مما قال .

﴿ خلاصة الكتاب ﴾ غرض المؤلف في هذا الكتاب ان يثبت ان هذا الزمن زمن سلطة الجموع (او الجماعات) وانه اشد الازمنة حرجاً في تاريخ البشرية وان تلك السلطة سلطة الجموع نشأت عن امرين الاول « تهديم المعتقدات الدينية والسياسية والاجتماعية التي تكون منها عناصر المدنية الحاضرة . والثاني قيام احوال جديدة ونشوء افكار جديدة في الحياة تولدت كلها من الاكتشافات العصرية العلمية والصناعية » وانه « لما كان تهديم الافكار القديمة لم يتم فلم نزل قوتها وكانت الافكار التي ستحل محلها في طور تكونها كان الزمن الحاضر زمن تحول وفوضى » وانه يعسر التكهن « بما قد يتولد من هذا الوقت وما هي الافكار الاساسية والمبادئ الاولية التي سيقوم عليها بناء الامم التي تخلفنا » ولكن الذي نراه منذ الساعة ان جميع المعتقدات والسلطات اخذت تنداع وتخطم الا سلطة الجموع التي لا يهددها طاري . بل هي تنظم وتنمو . وعليه فالدور الذي نحن قادمون عليه (دور الجماعات) لا محالة .

وان تلك الجماعات أصبحت قوة تدرك منافعها ومالها من القوة والسلطان ولذلك أنشأت السنديكات (جمعيات العملة والمأجورين) التي تخضع لها السلطات واحدة بعد الاخرى وبورصات العمل (التي هي غير البورصات التجارية لانها خاصة بالعملة وفيها مجتمع جمعياتهم وفروعها) . وان السنديكات وبورصات العمل تطمح الى التسلمط على العمل والعملة واجورهم وتطلب (تحديد ساعات العمل ونزع ملكية (كذا) (١) المعادن والسكك

(١) ستري في مايلي بياناً يثبت ان حضرة المؤلف الدكتور لوبون لم ينصف في تلخيص هذه المطالب بل بترها بترّاً لتأييد حجته على أهلها ودعم رأيه .

الحديدية والمعامل والمصانع والاطيان وتوزيع الثروات بين جميع الناس على السواء (كذا) واحلال الطبقات الوضيعة محل الطبقات الرفيعة وغير ذلك

فهذا السبب « استولى الملح على الكتاب الذين لهم منزلة لدى الطبقات المتوسطة في الامم وخشوا عاقبة ذلك السلطان فولوا وجوههم قبل الكنيسة مستصرخين سلطانها الادبي وتأثيرها الروحي بعد ان بالغوا في احتقارها وغالوا في اهلان جانبها . ونادوا بافلاس العلم في طريقة تهذيب النفوس . وفات اولئك المتدينين من جديد ان الوقت قد فات وانه ليس في طاقة البشر ولا مما تتعلق به القدرة الالهية جعل مياه الانهار تصب في بنايعها . وما افلس العلم ولا ذنب له في فوضى الافكار التي انتشرت ولا في سلطة الجماعات التي تنمو وسط تلك الفوضى » وانما الذنب « للايدي الطائشة التي ازلت بالتدريج جميع الحواجز التي كانت تمنع من طغيان الجماعات » « توجد علامات عامة ظاهرة في جميع الامم تدل على سرعة نمو سلطان الجماعات نمواً لارجاء في وقوفه آجلاً ونحن خاضعون لحكمه حاملون كل ما أنتجه بالقهر عنا فكل قول فيه باطل لا فائدة منه ومن الجائز ان تولى الجماعات قياد الامم أن يكون خاتمة ادوار مدنية الغرب فيرجع الى الانفاس في اودية الفوضى »

هذه خلاصة فكرة المؤلف وما بقي من الكتاب فصول شرح فيها هذه الفكرة بعلم عزيز وبيان ضاف شرحاً بناه على مشاهداته ومطالعاته .

✽ من هم الجماعات ✽ ولا بد ان القارى يتساءل من هم الجماعات التي صعقها جناب الدكتور غوستاف لوبون هذه الصعقة في كتابه . أهى الشعب ؟ كلا فانه يقول فيه ان (روح الشعب تمثل حالة الحضارة واما روح الجماعات فتمثل حالة الممجية) (الصفحة ١٩٩) ولعل المؤلف احسن الظن بالشعب هذا الاحسان اولا لئلا يتهم بالتعامل على شعب باسره والرجوع الى مبداء الاستبداد والاستعباد وثانياً ليقول ما قاله في الصفحة ٩٩ وهو ان التقاليد ضرورية للبيئة الاجتماعية وغني . عن البيان ان الشعب مصدر هذه التقاليد وهي خلاصته وروحه كما قال المؤلف كما انه غني عن البيان ان هذه التقاليد هي مستند المحافظين في كل شأن من شؤون الحياة وحجتهم الكبرى على خصومهم . وقد اوجد المسيو موريس باراس الفرنسي مذهباً له خاصاً بها فراج بعض الرواج لدى طالبي السدود والحدود لصد تيار الآراء الحديثة . ومن الاسف ان نرى انهم لا يكونون على الدوام مخطئين في التمسك بها من بعض الوجوه وفي بعض الاطوار ..

وانما عرّف المؤلف مراده بالجماعات في قوله (الصفحة ٢٤) « الجماعات بالمعنى المتعارف

اللفيف من القوم مطلقاً وان اختلفوا جنساً وحرفة (ذكوراً كانوا او أنثى) وعلى اي نحو اجتمعوا . اما في علم النفس (وهو الذي يقصده هنا) فلها معنى آخر . ففي بعض الظروف يتولد في الجمع من الناس صفات تخالف كثيراً صفات الافراد المؤلف هو منها حيث تحتفي الذات الشاعرة وتتوجه مشاعر جميع الافراد نحو صوب واحد فتتولد من ذلك روح عامة وقتية بالضرورة الا انها ذات صفات مميزة واضحة تمام الوضوح وحينئذ يصير ذلك الجمع لفيماً مخصوصاً لم أجد لتسميته كلمة البقي من لفظ الجماعة المنظمة او الجماعة النفسية فكأن ذلك اللفيف ذات واحدة وبذلك يصير خاضعاً لناموس الوحدة الفكرية الذي تخضع الجماعات لحكمه » « وان مجرد اجتماع افراد كثيرين اتفاقاً لا يكسبهم صفة الجماعة المنظمة فان الف نفس اجتمعوا عرضاً في رجة واسعة لغير قصد معين لا يكونون جماعة عند علماء النفس بل لا بد في توفر صفات الجماعة من تأثير مؤثرات مخصوصة »

ومعنى هذا ان الجماعات المقصودة بكلامه هي (الجماعات المنظمة) ولها قصد معين وغرض معلوم تسعى اليه . فيدخل فيها سديكات العمل من صناعات وزراعت ومستخدمين ولجان الانتخاب والانتخبين انفسهم كما ترى ذلك واضحاً في الكتاب . والأحزاب السياسية في البرلمان وخارجة . وجماعة المحلفين (الجوري) لدى محاكم الجنايات والمحامين والطوائف العسكرية والدينية ورؤسائهم . وطبقات المجموع الاواسط ومجموع أهل الريف الخ الخ . ومن رأي المؤلف ان هذه الجماعات خاضعة على الدوام لحكم الاشعور و يغلب فيها انحطاط القوة العاملة فاذا تناولت رأي كل فرد من افرادها فرداً فرداً رأيتها أرقى من رأي مجموعها ولكن روح المجموع يتأثر بمؤثرات مخصوصة تجعله احط من رأي افرادها . وانها سريرة التصديق والاندفاع الى الشجاعة والشر والعبودية في ايدي زعمائها الذين يؤثرون عليها لا بالعقول بل من طريق مشاعرهم الغريزية فيجأرونها وسائلهم التأكيد والتكرار والعدوى فيظهر انهم متسلطون عليها وفي الحقيقة انهم انما يتبعونها . وانها تعد الخيالات حقائق ولا تدرك الافعال العالية الا بعد تغييرها . وانه من الخطاء الاعتقاد بان للتعليم تأثيراً فيها . وان الحكومات اصبحت لهذا السبب ضعيفة عن قيادة الافكار كما كانت نقودها في الزمن السابق . وان « النظام النيابي اقصى ما تصبو اليه الامم المتحضرة في العصر الحاضر لانه يعبر عن فكر سائد في الناس وان كان علم النفس يراه خطأ وهو ان العدد الكثير أقدر من العدد القليل على البت في الامور بالعقل والرؤية والاستقلال » وان المجالس النيابية مع كونها « احسن الوسائل التي اهتدت اليها الامم في حكم نفسها » الا

ان المؤلف لا يرى لها من الجهة العملية « الأضرارين كبيرين الاول تبذير الاموال تبذيراً لا مناص منه والثاني الترقى في تحديد الحرية الشخصية » وابان في فصل مسهب ما سبقه اليه جول سيمون الذي تهكم عليه المؤلف (في الصفحة ٢٤٦) من نقائص المجالس النيابية في كتابه (الحرية السياسية) . وختم كتابه بنعيب هائل في ثلاث صفحات باللغة أقصى حدود البلاغة الريالسمية تنبأ فيها للهيئة الاجتماعية بالفناء . ومنها قوله « علامة تلك الساعة التي لا مفرّ منها تكون على الدوام ضعف اليقين بالمقصد (Ideal) الذي اتكأت عليه روح الشعب وكلما انزوى عود هذا الخيال اندكت صروح الدين والسياسة والاجتماع التي كانت تستمد منه حياتها » « وكلما انزوى خيال الشعب (Ideal) فقد هو علة امتزاجه وداعي وحدته وموجد قوته وتمت شخصية الافراد وعظم الذكاء فيهم غير ان ذلك يصطبج بمحلول الانثرة الشخصية المفرطة محل الانثرة القومية . ووراءه انطاس الاخلاق وضعف القدرة على العمل » « واذا تمّ فقدان الخيال تمّ فقدان روح الامة فتعود خليطاً من الناس كل يعمل على شاكلته وترجع الى ما كانت عليه منذ بدايتها جماعة لها منها جميع الصفات الوقتية فلا شعور ولا أمل . هنالك تنعدم اساطين المدنية وتسمي هدفاً لحوادث الاتفاق وتصير العامة سلطانة في الناس وتبدو طلائع المتوحشين » ومعنى هذا ان الشعوب انما تتكون (بايديال) تتخذها لها وتعظم باتباعها هذا (الايديال) فاذا تركته سقطت وفنيت وروح الجماعات وسلطتهم اشد العوامل في اسقاط هذا (الايديال) — هذه خلاصة فكرة المؤلف في ثلاثة أسطر .

✽ رد اهل المذهب الآخر ✽ لا ننذكر اين قرأنا عن المؤلف الدكتور غوستاف

لوبون انه قال عن نفسه ان أحد أصدقائه كتب اليه فقال انه اي الدكتور لوبون يخالف في كتاباته كل ما هو معروف . وعليه فابحاث المؤلف وآراؤه لا تخرج عن كونها معارضة في مبادئ المدنية الحاضرة واصولها . وكل معارض يبائع في كلامه في اكثر الاحيان ليحدث اثرأ شديداً في نفوس سامعيه او قرائه . ولكن هذه المعارضة غاية في الفائدة في هذا الزمن للسبب الذي أشرنا اليه آنفاً وخاصة في شأن كهذا الشأن يحتمل افراط البشر فيه فن الصواب ان ينهض حيناً بعد حين رجل كالمؤلف وينعيب بينهم ذلك التعيب الهائل بصوت ارفع من الاصوات التي نسميها كل يوم في جرائد المحافظين الاجتماعيين في اوربا واميركا .

ذلك لان لهذه الآراء التي بسطها المؤلف دعاة كثيرين اليوم في اوربا واميركا

ولكن مما نعهده شرفاً للمؤلف انه لا يضع يده في ايديهم في جميع المسائل بل يكتب ما لهم وما عليهم كما يكتب المفكر وهو بعيد عن ضوضاء الحياة وغوغاء الناس . وقد لخصنا مذهبه آنفاً فعلينا الآن ان نلّم بطرف من مذهب الفريق الآخر الذي يعارضه المؤلف ليكون القارئ على بينة من المذهبين (ويسمع الجرسين) كما يقول الافرنج في امثالهم فتمّ الفائدة

فاهل المذهب الآخر يقولون مثلاً مايلي « ان المؤلف مصيب في قوله ان الشعوب تخط وتنقرض اذا لم يكن لها (ايدىال) أو غرض عمومي شريف تسمى اليه وتلتف حوله . ولكن الخلاف الذي بين الفريقين هو ان هذا الايدىال نفسه يتغير ويتبدل طبقاً لمبدأ القول . فقد كان الايدىال من قبل لدى الفرنسيين مثلاً ان يسفكوا دماءهم في سبيل الله والملك وهذا سبب استماتتهم في غزوة الشرق في الحروب الصليبية . ثم اصبح ايدىالهم بعد الثورة الفرنسية الاستماتة في سبيل الحرية والجمهورية فانفوا بعضهم بعضاً في بدء الثورة . فاذا كانت الاحزاب المتطرفة منهم قد تغير اليوم ايدىالها تغيراً ثالثاً واصبح همها منصرفاً الى استخلاص السلطة الاقتصادية والمالية من ايدي الافراد والشركات (بعد ان يدفع لها تمويض كاف) لوضعها في ايدي الحكومة لتتمكن الحكومة من نفع الشعب بها ورفع الطبقات الضعيفة أو الدينئة الى مرتبة ارفع تليق بالبشرية ليعيشوا بمعيشة البشر لا معيشة البهائم فهذا ايدىال عظيم ايضاً ككل ايدىال جميل اذا كان تحقيقه ممكناً . لما دنس احد المتطرفين المتهوسين الراية الفرنسية سرّاً في احدى الفرق العسكرية منذ نحو شهرين اذ القاها في المرحاض نكابة بالاحزاب الوطنية والعسكرية والدينئة والمالية قامت قيامة الجرائد المحافظة والمعتدلة على ذلك المتهوس والصقت فعلته بالراديكاليين والاشتراكيين وجرائدهم . فكان الصمت جواب المعتدلين من هؤلاء ولكن المتطرفين قالوا لم بصراحة ان ايدىالكم ليس بايدىالنا واذا كنتم انتم تجعلون شرفكم ووطنكم وايدىالكم في قطعة نسج ملون وتغضبون له هذا الغضب فايدىالنا نحن وشرفنا ووطننا في مبادئنا التي هي مبادئ الثورة الفرنسية ومقتضاها رفع شأن الشعب ومحاربة الاستبداد الاقتصادي والمالي الذي يضغط على حياته كما حاربنا الاستبداد السياسي من قبل . ولا نبحث هنا في صحة هذا الايدىال او فساده وانما نقول ان الجماعة التي تظهرها اظهرته جماعة العملة واحزاب الشعب من القوة والنشاط وعدم المبالاة بالعقاب والموت والاستهداف لسنابك الخيل وحراب الجند في المظاهرات والاعتصابات والتضامن الغريب الذي بينها لا تكون جماعة دون ايدىال

وانما ابديالها يختلف عن ايدىال الدكتور لوبون مثلاً . فانه هو ينظر الى الام والحكومات ومستقبلها من وجه وهي تنظر اليها من وجه آخر . ولا يلتقيان الا متى التقي الفرقدان

هذه هي النقطة الاساسية في البحث . ثم تنفرع منها نمتة . ان الجماعات والسنديكات التي أشار اليها الدكتور لوبون هي جمهور الشعب الفرنسي كله مجتمعاً في جميعات كل جمعية لفرع من فروع حياته من اكبرها الى اصغرها وحسبك ان للتسولين في الشوارع سنديكات (١) فاذا كانت هذه الجماعات كلها لا تحسن تدبير شؤونها الخصوصية والشؤون العمومية فاشعب الفرنسي كله اذاً عاجز فاصر . وجميع اعتراضات الدكتور لوبون الموجهة الى تلك الجماعات تتوجه الى الشعب كله ولا ينقذه من هذه التهمة اطراؤه الشعب ونفاليده في سطين أو ثلاثة من كتابه . وكمن مرة ونحن نطالع هذا الكتاب قلنا ان رأي الدكتور لوبون في الشعوب رأي الذين يقولون انها ولدت اطفالاً وبقيت اطفالاً محتاجة الى وصاية الطبقات الارستوقراطية والسياسية وستبقى كذلك الى ما شاء الله . وهذا الرأي وجيه لدى كثيرين من المفكرين المخلصين فضلاً عن الذين يستفيدون منه وهو يمتثل البحث والنظر . بقي ان يقال ان الاعتراض ليس على كفاءة الشعب بل على عجز (روح الجماعات) عن جودة السياسة والرئاسة لان تركيبها يوجد هذا العجز فيها . ولكن هذا القول يعارض كثيراً من الآراء التي ذهب اليها علماء العمران . قال الفيلسوف جول سيمون في كتابه (الحرية السياسية) ما خلاصته ان الافراد الذين تتألف منهم الجماعات النيابية مثلاً قد يكونون ضعفاء وكل واحد منهم على حدته غير قادر على السياسة ولكنهم اذا اجتمعوا وتألف منهم المجلس ارتقت آراؤهم وهي مجموعة عن معدل آراء كل فرد منهم . يعني ان روح المجلس تكون طبعاً ارقى من روح كل فرد من افراده واجتماعهم هو سبب هذا الارتقاء ولذلك تكون الامم التي ليس فيها افراد نوابغ قادرة على سياسة نفسها بروح تلك المجالس . اذن فمن صدق . الدكتور لوبون او السياسي المنك والفيلسوف المشهور جول سيمون الذي ليس في استطاعة احد

(١) هم متسولو مرسيليا المصابون في اجسامهم باعضاء مريضة او مبتورة انشأوا سنديكات لتولى مقاومة المتسولين الذين يُظهرون انهم مقطوعون مع انهم اصحاء الاجسام وذلك لاطلاع الحكومة على أمرهم منعاً لمزاحمتهم لهم لان التسول ممنوع شرعاً الا للماذونين

رمي به بالتزلف الى الشعب بعد ما بدا منه من دلائل استقلال الفكر قولاً وفعلاً — قولاً في ماشره في كتبه من تحذير الديموقراطية من نقائصها وفعلاً في ما فعله في عهد نابوليون الثالث اذ كسر مستقبله كسراً باحتجاجة على حكومته احتجاجاً افضى الى فصله عن السربون التي كان أحد أسانذتها وما فعله في عهد الجمهورية نفسها يوم قاوم حزبه الجمهوري نفسه في شأن المادة السابعة من قانون التعليم وهدم نفسه لديهم هدماً بهذه المقاومة ولولاها لارتقى الى رئاسة الجمهورية ومات وهو من أعظم رجالها. وهب ان رأي الدكتور لوبون هو الصحيح وراي جول سيمون هو الباطل فان رأي الدكتور لوبون في هذا الشأن يقضي فض الجمعيات والسنديكات وجعل جمهور الشعب افراداً ضعفاء بازاء الحكومة وبازاء انفسهم. وهل يجوز في هذا العصر الذي نهض فيه اكابر اهل العلم والسياسة والفلسفة ينشطون الامم الى التجمع في جمعيات تشغل كل واحدة منها بما يختص بها في دائرة اختصاصها وترقيه بتعاون افرادها عليه كما ارتقى العلم والصناعة والزراعة والتجارة بهذا التعاون نفسه هل يجوز والحالة هذه في هذا العصر ان تمت مطرقة الدكتور لوبون الشديدة الى اساس هذا البناء الذي هو بناء الحضارة الجديد لتقويضه وهدمه. وماذا يبقى للامم اذا فضت جميع جمعياتها وسنديكاتها واسيئ الظن ببرئاناتها ونعمتها — ماذا يبقى لها غير نير ملك قاهر او امبراطور جائر يوضع على عنقها لاستعبادها والاستبداد بها وبيع مرافقها ومنافعها بيع السماح. واذا كان لا يقصد هذا ولا ذاك فاي فائدة اذاً ينتج من مهاجمة اساس الهيئة الاجتماعية هذه المهاجمة سوى غرس الحيرة والشك في نفوس الناس وعلى الخصوص النابتة الجديدة وتفجيرهم حتى من الاساس الذي قامت عليه الحضارة وتثبيط همهم وافناء قواهم بهذه الحيرة والشك

وقد يكون غرض المؤلف في كتابه ان يثبت أمراً أبعد من الأمر الظاهر. وهو ان الجنس البشري غير قابل للكمال وانه كطائفة التمل متى بلغ في مدنيته حداً محدوداً عاد وتدل راجعاً ادراجه. وهذا ايضاً فيه نظر لان أهل العلم بين قائل بقابلية الكمال وقائل بعدم القابلية. واذا كان سبنسر ودروين يقولان بمذهب النشوئ والارتقاء و يضعان مبدأ « ان الافضل يُنسَخ بما هو افضل منه » كما قال ابن رشد في كتابه نهافت التهافت فان نييتش وغيره ينكرون قابلية الكمال ويحددون ان للوجود غاية غير غاية تقوية الفرد وزيادة قوى الانسان حتى تفوق قواه الحاضرة. ولكن اذا كان الجنس البشري غير قابل للكمال وانما حظه — او سوء حظه — التراوح في اطوار التآرجح بين الانحطاط والارتقاء والصعود

والهبوط كما قال الدكتور لوبون فالأمر يكون إذاً بين يدي القوة « فمن غلب سلب ومن عزَّز » وهذا يجيز لطبقات الضعفاء في الامن ان تستجمع قواها وتعد جميع معداتها للمنازعة من تدعوهم خصومها وتستخلص من ايديهم ما امكنها استخلاصه . فلا جناح عليها اذاً في ما تفعله التماساً للمنافع كما انه لا جناح على خصومها اذا ابوا عليها اعطاءها ما تطلبه . فان قويت أخذت والا حُرمت

على انه قد يكون للمؤلف غرض آخر اقرب مما تقدم وهو ان السبب في وضعه كتابه هو الرغبة في التهويل مع المهولين على الحكومة الفرنسية لتقلص من ظل جمعيات العملة ومطالب الشعب وترك التساهل معهم خدمة لأهل المصالح المالية والاقتصادية . ومهما يكن من الأمر فان تلك الحرب التي تدور رحاها الآن في العالم اجمع بين المأجورين والمستأجرين او اهل العمل واهل المال والتي ذكرنا طرفاً منها منذ بضع سنوات في كتيب عنوانه (الدين والعلم والمال) انما هي حرب يخلق بالمفكر المنصف ان يقف بازائها وقفة المشفق الداعي الى اخماد نار الاحقاد والتوفيق بين تلك المصالح المختلفة والمبادئ المتعارضة ما امكن التوفيق . واذا مال بعض الميل الى الجانب الضعيف وان لم يكن على حق فبيله عدل ورحمة معاً لان شقاءهم في هذه الدنيا شديد . وما من فائدة لاحد في زيادة مسافة الخلف بين الفريقين والقاء المشيم على النار لتزداد وقوداً .

على انه اذا لم يكن من فائدة لهذا الكتاب المكتوب بعلم غزير سوى اثاره البحث في موضوعه بين الشريطين وجعل ما فيه من الآراء والافكار عبء لنا في بدء دخولنا الحياة الدستورية في المبلاد العثمانية وقبل دخولنا هذه الحياة في القطر المصري لئلا نجمع فيسوء المصير — فحسبنا هذه الفائدة . وعلى القارئ العربي ان يقتنيه ويدرسه درساً ويستفيد بمعلوماته العلمية الدقيقة وان لم يشارك المؤلف في جميع آرائه . وتعريبه متين جميل للغاية جزى الله سعادته معربه المفضل خيراً عن قراء اللغة العربية واكثر بيننا من أمثاله رجال الهمة والعلم والفضل الذين هم موضع آمال الشرق وابنائهم



نشيد

الراية العثمانية الدستورية

-1808-

فارقتنا الوطن وهو عبد وعدنا اليه وهو حرّ . والجامعة تشكر لجناب صديقها الشاعر
البلغ الطائر الصيت مصطفى افندي صادق الرافي ناظم هذه القصيدة النفيسة لانه بعث بها
اليها فمكنها من ان تجعل في اول جزء منها يظهر في الشرق هذا النشيد الجميل تحيتها الى
الحكومة الدستورية العثمانية ورايتها التي هي مجيدة منذ طفوليتها . وقد ابدع الناظم في هذه
القصيدة واتى في البيت السادس عشر منها بمعنى مبتكر جميل سيبقى لاصقاً بالراية العثمانية
الدستورية ويجري مجرى الامثال لدى الواقفين عليه . رفع الله راية الرجاء وعفا عما مضى .

رفع الصبح راية الشفق الاحمر مستقماً جيش اضياء

هل ارى في السماء اذبال حوزا تتخطى بها على استحياء
أم ارى في السما حديقة ورد كشفتها الجنان للشعراء

راية في صباغها ذابت الشمس — فلاحت كالبقعة الحمراء
في ذرى الجو حيث لا تترامى همة الريح في ذبول الفضاء
حيث لا تنتهي المطامع الا عبثاً من وساوس الجلاء
من رآها يخال راية عثا ن اقيمت على بروج السماء

راية الدولة التي لحاها مهرب الشمس من يد الظلام
راية الامة التي من حلاها عقد دمع الملوك والأمراء
انه لؤلؤ يغاص عليه تحت موج الحديد بجور الدماء

راية حيثما تهز يحم الموات رعباً لغضبة الخلفاء
غضبة تزار البراكين منها وتور الجبال في الهيجاء

غضبة الراية التي لعداها ظلها عابس عبوس الفناء
واراها على القلاع لسان النازر مستجلاً ردى الاعداء

رايةُ الحربِ رايةُ السلمِ طرّاً رايةُ النصرِ رايةُ السعداءِ
 ليسَ رسمُ الهلالِ ذاكَ ولكن قلمُ النورِ خطُّ راءِ الرجاءِ
 يا جناحَ السلامِ فرِّفْ على الخلقِ فما في سواك رَوْحُ الهناءِ
 انّ هذا الهواءَ مهبّطُ جبريلَ وذو الارضِ منشأُ الانبياءِ
 مصطفي صادق الرافعي

الى مردي المهاجرة

ابحث

وحاذر قبل ان تهاجر

— 1838 —

سمعنا من كثيرين قولهم اننا بعد اطلاقنا في الجامعة وهي في نيويورك على آثار اميركا وعظمتها وثروتها كدنا نهجر بلادنا اليها . ونخشى ان تستفز المقالات التي أخذنا في نشرها عن اميركا بعض القراء أو بعض ذوي قرباهم الى المهاجرة وهم على غير بينة من الأمر اغتراراً بثروة اميركا وعظمتها فرأينا من الواجب ان نكتب هذا الفصل ونبسط فيه حالة المهاجرة وشروطها ليكون مرید المهاجرة على علم بها .

واول ما نقوله هو ان الذي لديه فضلة من ماله ويريد انفاقها في ما يسلي خاطره و يشرح صدره ويزيده علماً باحوال الكون واطلاعاً على آثار العمران له ان يقصد اميركا ويزورها كما يزور أوروبا . وكم من مرة حثنا اصدقاءنا ومعارفنا في الشرق وأوروبا على ان لا يقتصرُوا على زيارة أوروبا بل ان يطيلوا شوطهم و يبلغوا اميركا . حتى لقد قيل لنا مرة بعد ان اسهنا في جمال هذه الزيارة انه لو علمت حكومة اميركا بسعيكم لبلادها هذا المسعى و جعلكم لسانكم (اعلاناً حياً) لها لما ضنت على الجامعة بكفاة ...

ولكننا اذا كننا نقول ذلك القول لمن لديه فضلة من المال ويريد السياحة ترويجاً للنفس فلا نقول مثله لمن يبغى المهاجرة طلباً للرزق . بل نقول لهذا « ابحث وحاذر قبل ان تهاجر » و بودنا لو ردّت هذا التنبيه جميع رصيفاتنا في الشرق لبلغ الى آذان مردي

المهاجرة الى اميركا وعلى الخصوص في سوريا ولبنان

ومرادنا بهذه العبارة انه يجب على المهاجر قبل ان يهاجر ان يقيس قواه على مطامعه ويعلم لماذا يهاجر واي شيء يلقاه هناك وما يستطيع عمله وما لا يستطيعه . وبعد ذلك فله الخيار بين المهاجرة والاقامة .

كم من مرة لقينا في الولايات المتحدة شباناً وكهولاً وشيوخاً يسألوننا ماذا يعملون فكنتنا نجيبهم كان عليكم ان تسألونا هذا السؤال قبل سفركم الى اميركا ولو فعلتم لأجبناكم ان لاتهاجروا اليها . وكان نصفهم يرجع الى بلاده على عجل والنصف الآخر يقيم متردداً بين العودة والاقامة حتى يسأم فيعود او يبقى مهاجراً غير راض بحالته ولا يكاد يكسب نفقاته كل باخرة تمر بمصر قاصدة اوروبا تحمل مئات من المهاجرين السوريين حتى بعد الدستور وقد اشار الى ذلك منذ حين بعض الافاضل . ولا ينكر ان فيهم كثيرين ممن هاجروا بسبب القرعة العسكرية الجديدة لغير المسلمين ولكن لكثرة المهاجرة آخر اسباباً اخرى . فمنها ان الإشغال في اميركا عادت الى الرواج بعد تلك الازمة المشهورة . ولما كنا في لورنس (ماس) علمنا ان نحو ٣٠٠ مهاجر سوري من نزالتها عادوا الى بلادهم في شهر واحد بسبب تلك الازمة لان المعامل أقفلت وهم عملة فيها فاضطرهم اقفالها الى طلب المال من أهلهم في الشرق واذ سئموا تكرار الطلب فضلوا ان يعودوا الى وطنهم ولما سمعوا في الزمن الأخير ان رحي الاشغال دارت عادوا الى اميركا وربما اصطحبوا رفاقاً لهم . ومنهم من عاد الى وطنه بعد اعلان الدستور واذ عاش فيه مدة ولم يحس بتغيير يذكر من الجهة الاقتصادية أثر الرحيل مرة أخرى فعاد . ومنها اننا مقبلون على فصل الشتاء فمن يريد المهاجرة يهاجر في هذا الوقت ولذلك اشتد ازدحام المهاجرين . ومنها ان للمهاجرين في اميركا اقارب واصدقاء فهم يزينون لهم السفر ويحثونهم اليهم . ومنها ان المقيمين في وطنهم يرون بعض القادمين من اميركا من أبناء بلادهم ويسمعون بغنى اميركا وعجائبها فتدب فيهم الغيرة وتحذتهم نفوسهم ان يفعلوا فعلهم . ومنها الفقر وضيق الخلق والرغبة في تغيير الافق لعل الحالة تتغير بتغيره الخ الخ .

لهذه الاسباب ولغيرها ما زال المهاجرون السوريون يقصدون اميركا ويتهافون عليها دون ان يعلم كثيرون منهم لاي شيء يهاجرون اليها وماذا يفعلون فيها . وقد سألنا بعضهم في الطريق فكانوا يجاوبونا سئري ما نفعله بعد وصولنا . وهذا الجواب حسن اذا كان في يد قائله رأس مال يمكنه معه ان يختار ماشاء من الاعمال ويستعمله في العمل الذي يختاره

بعد وصوله . ولكنه اذا كان لا يملك مالا ففسره اليها على هذا الوجه (اي على باب الله) من ضروب المخاطرة التي لا تُحمد لان الله سبحانه لا يوجد عادةً الا على الذي يحسن الاحتياط لنفسه وتدبير اموره .

الامور الاربعة

لا نكتب هذا الكلام للذين هاجروا آخرأ فهم هاجروا وانقضى الامر ونسأل الله ان يأخذ بأيديهم ويتولاهم بعنايته . وانما نكتبه للذين لم يهاجروا وتحدثهم نفوسهم بالمهاجرة الى اميركا . فنقول لهؤلاء مايلي .

« من اراد المهاجرة الى اميركا عليه ان يكون في يده رأس مال كاف . او ان يكون في يده صناعة يعمل فيها . أو ان ينوي العمل في المعامل . أو حمل البضائع والجولان بها لبيعها . ولكن المهاجر السوري الذي ليس في يده رأس مال ولا صناعة ولا يريد العمل في المعامل ولا حمل البضائع فالواجب عليه ان لا يرحل الى اميركا قطعياً »

كان المهاجرون من قبل يرحلون الى اميركا (على باب الله) ولا يمسهم الضيق لان مسألة التبول بالبضائع كانت في رواج . فكان كل مهاجر يصل يستطيع ان يشرع في العمل يوم وصوله وذلك بان يحمل بضاعة ويطوف بها على المنازل في المدن الكبرى والصغرى فيبيع ويرج . وكان التجار يساعدونه ويا تمنونهم على بضائعهم لانهم يرجون من هذه المساعدة والاستئمان بل كان كل رجبهم منها . وكانوا من قبل ينتظرون البواخر القادمة من الشرق ويستقبلون أبناء وطنهم القادمين اليهم للاتفاق معهم على التبول ببضائعهم . اما الآن فقد تغيرت الحالة . فالتجار اصبحوا لا ياتمون على بضائعهم الا من يثقون منه والاميركيون

ضجروا من كثرة الباعة التجولين شرقيين وغير شرقيين لاسباب عديدة فضلا عن انتشار المخازن الاميركية التي تتبع السلع في اصغر القرى وأبعدها وفتح عيون الاميركيين وزوال سذاجتهم القديمة حتى اصبحوا عارفين باثمان السلع التي تباع كما يعرفها الباعة . وفي صباح هذا اليوم الذي نكتب فيه هذا الفصل ورد علينا كتاب من شاب اديب في اميركا يقول فيه انه تجول شهرين للبيع فاسفرت النتيجة عن خسارته مئة ريال ولذلك عافه . فانت ترى ان مسألة البيع التي كانت عملاً قريباً من يد كل مهاجر لا يجد عملاً قد أصبحت في كساد . فاذا كان المهاجر الشرقي ليس في يده رأس مال ولا صناعة ويكره دخول المعامل للعمل فيها فماذا يفعل . انه لا يجد في اميركا كلها عملاً يعمل به لانه لا يحسن لغة البلاد ولا يعرف عاداتها فن الصعب ان يُستخدم للاعمال الصغيرة كالخدمة في الفنادق والمطاعم والمخازن وغيرها . وهذا أمر جدير بالنظر

ولكنه اذا كان نشيطاً قوي النفس لا يستقي بالعمل ويريد العمل في المعامل فهذا باب متسع في اميركا اعظم اتساع ومفتوح لكل مهاجر الا في اثناء الازمات الشديدة . واقل ربح للعامل في المعمل خمسة ريبالات في الاسبوع (جنيه) ويرتقي هذا الربح بارتقاء حالة المهاجر . فقد شاهدنا في ولينتك (كناتكت) شباناً سوريين ادباء يعملون في معامل الحرير واجرة الواحد منهم بين ١٢ و ١٥ ريبالاً في الاسبوع (ثلاثة جنيهات) والنفقة تكون طبعاً على قدر الكسب في كل بلد . فالشرقي الذي يضع نصب عينيه العمل في معامل اميركا ويهاجر لهذا السبب يمكنه ان لا يقيم دون عمل يوماً واحداً اذا كان نشيطاً ذكياً . ولكن هذا العمل محدود الربح وهو كالاستخدام يضعف القوى ويسد باب الصدف التي يمكن ان يغتتمها الانسان اذا كان عمله لنفسه . فضلاً عن انه يقتضي الخبرة والتمرن . فعلى المهاجر ان يكون لديه شيء من المال يمش منه قبل اكتسابه هذه الخبرة ليتمكن من دخول احد المعامل . في اثناء سياحتنا في الولايات الاميركية الاربع (١) التي يدعونها (نيوانكلاند) اي انكلترا الجديدة لانها كانت الولايات الاولى التي هاجر الانكليز اليها واستعمروها (وهي ك:ناكت وماستشوستس وماين وروود ايلند) كنا نجد في كل مدينة دخلناها جالية عظيمة من اهل كندا الفرنسيين وقد هجروا وطنهم للعمل في المعامل الاميركية العظيمة . ورب مدينة كبد فرد (ماين) أو وستر (ماس) فيها عشرات الالوف منهم ولهم فيها اندية وجمعيات وجرائد وكنائس . وكل كانت تلذ لنا احاديثهم ومنظر سيداتهم حين انصرفن افواجاً افواجاً من المعامل في المساء وعلى وجوههن وفي حركاتهن رشاقة الجنس الفرنسي التي تعرفن حتى لمن لا يعرفن . فالمعامل الاميركية تعول ملايين من النفوس في اميركا من المهاجرين وأهل البلاد . ولولاها لأكل الناس بعضهم بعضاً .

بقيت مسألة الصناعة ورأس المال . ونقصد بالصناعة ان يكون للمهاجر حرفة يعمل بها كالحساب (مسك الدفاتر) والنقش في الخشب والتجارة والخطاطة الخ . اما الحساب فاجرة الحاسب في المخازن السورية ٤٠ ريبالاً في الشهر (ثمانية جنيهات) وأكثرها ستون ريبالاً ولكن هذه لا تكون الا للكتاب الممتازين عن غيرهم . وفي السوق على الدوام حاجتها من الكتاب الحاسبين بل فوق حاجتها ولذلك لا تحتمل الزيادة . واما النقاش

(١) اصطلح الكتاب على تسمية الولايات المتحدة (باميركا) مع كونها جزءاً من القارة الاميركية وذلك لانها اعظم امة فيها وآثارها أظهر الآثار . فاذا رأى القارئ قولنا اميركا والولايات الاميركية فالمقصود بها (جمهورية الولايات المتحدة)

والتجار والحلاق والخياط الخ فانهم اذا قصرُوا عملهم على بني وطنهم السوريين فانهم لا يكادون يرجحون شيئاً يُذكر ومنهم من لا يقوم بنقائه والافضل ان يلتسوا العمل بصناعتهم في مخازن الاميركيين باجور قليلة . وسبب قلتها عجزهم عن مجارة اهل البلاد في طرقهم واساليبهم . ولكن الذي يستطيع هذه المجارة يرجح من صناعته رجحاً يستحق الذكر . فاننا نعرف اديباً سورياً في نيويورك صناعته نقش الخشب في معمل اميركي واجرته في النهار خمسة ريلات (جنيه) . والامر الجدير بالنظر هو ان الذي في يده صناعة وهو متقن لها وهاجر الى اميركا يمكنه ان يعيش منها في محلات الاميركيين اذا اتصل اليها بواسطة ولكن يجب ان يكون ملماً باللغة الانكليزية

بقيت مسألة رأس المال . ورأس المال وحده لا يكفي (صغيراً كان او كبيراً) اذا لم يكن مقروناً بالخبرة في حالة الولايات المتحدة وطرق العمل الذي ينفق فيه رأس المال . فكم من رأس مال ضاع وسبب ضياعه أمران : الاول ان الطريق التي أنفق فيها طريق مسدودة لا تؤدي الى ربح لعدم الحاجة اليها او لان الحاجة اليها قليلة فيكون الدخل دون المخرج . والثاني ان صاحب رأس المال لم يكن ذا خبرة كافية في طرق عمله . فعلى صاحب رأس المال ان يكون ذا خبرة في العمل الذي يريد عمله وان لا ينفق رأس ماله الا في عمل يكون هو خبيراً فيه . ولا نرى حاجة الى الافاضة في هذا الموضوع لان الذين لديهم رؤوس اموال ويهاجرون بها الى اميركا قليلون جداً لان المرء يجد في مصر بل في سوريا نفسها اعمالاً كثيرة رابحة اذا كان لديه رأس مال وأحسن تدبيره ولذلك لا يهاجر الى اميركا ذوراس مال . وعندنا ان هذا خطأ قديم ونتمنى ان يصلحه الزمن . فان اميركا اوسع بلاد في الدنيا لرؤوس الاموال . ولكن عذر الشرقي ان رأس المال يرجح في مصر كرجحه في اميركا تقريباً مع قلة النفقة فيها وسهولة المعيشة في بلاد شرقية نلائم مزاجه واعتدال جوها وجوده فيها بين اهل واصدقاء وابناء وطن في وسط لغته كلغته وروحه تنطبق على روحه ولذلك يفضل اصحاب رؤوس الاموال ان يتجهوا مصر ولا يفكرون باميركا . والاوروبا بين انفسهم لديهم مصر بمنزلة اميركا لدى السوريين المهاجرين . فكم من مرة حادثنا في الباخرة بين اوروبا ومصر الاوروبيين المسافرين منها والعائدين اليها فوجدناهم يعجبون بثروة مصر وخصبها وارباحهم فيها . منهم سيدة كانت تقول انني احب مصر وافضلها على وطني فقد صرفنا فيها ٢٠ سنة وزوجي يكسب من وظيفته في الحكومة كذا ونحن عائشون في سعة ولو كان في وطنه لما كان يكسب نصف هذا المبلغ

ولا كنا نعيش كما نعيش في مصر . فتامل .

ورب قائل يقول فما يفعل اذاً أبناء سائر الجوالي الاوروبية . فالجواب ان المسافة بين الاوروبي المهاجر الى اميركا وأهل البلاد الاميركيين اقرب منها بين الشرقي المهاجر والاميركيين . فان العادات والاذواق قريبة بعضها من بعض بين الاوروبيين والاميركيين ولذلك يسهل على اولئك الامتزاج بهؤلاء وعلى الخصوص اذا كانوا يحسنون اللغة الانكليزية .

وهذا القرب بين اذواق الفريقين وعاداتهم وتقاليدهم وآدابهم سهل للاوروبيين سبيل معاملة الاميركيين والاستخدام عندهم وانشاء الحوانيت المختلفة للاتجار معهم والربح منهم ما أمكن الربح . فتراهم يطرقون ابواب جميع الاعمال الكبرى والصغرى التجارية والصناعية والزراعية والاستخدام فتتوزع هذه الاعمال عليهم وينال كل واحد منها ما ينطبق على استعداداته واخلاقه وكفاءته . وما انتظمت احوال امة وقويت وأثرت الا (بناموس توزيع الاعمال)

من الحكومة الاميركية الى سليمان افندي البستاني

وعلى ذكر هذا الناموس ناموس توزيع الاعمال خليق بنا ان نشير الى ما صرفنا اليه بعض اهتمامنا ونحن في اميركا وخاصة لانه ذو علاقة بمسألة رأس المال التي تقدم ذكرها رأينا بعد وصولنا الى اميركا ان اعمال اخواننا المهاجرين تنحصر في امور اربعة .

الاول التجارة اي انشاء محلات تجارية في المدن الكبرى لبيع البضائع للتحجولين الذين يحملون البضائع ويتجولون بها لبيعها او لتجار الداخلية الذين يبيعون اولئك الباعة وجميعهم سوريون التجار والباعة . فكان تجارتهم تجارة سوريين مع سوريين . والثاني الباعة التجولون الذين تقدم الكلام عنهم . والثالث عملة يعملون في المعامل . والرابع اصحاب مخازن لبيع الاثمار والحلوى وما أشبه . اي ان الصناعة والزراعة معدومتان لديهم اصلاً . ولما كان انشا الصنائع صعباً في بلاد عظيمة الصنائع كما يعلم كل قارئ فرائنا ان افضل خدمة نقدر على القيام بها هي توجيه الافكار الى الزراعة وانشاء المزارع وامتلاك الارض وتربية المواشي لايجاد منفذ جديد واسع لعمل النزلة . فاقمنا على هذه الدعوة ثلاث سنوات وزرنا من اجلها كندا ووزير داخليتها لان كندا تعطي كل مهاجر ١٦٠ اكر من الارض مجاناً لزراعتها . وانقضنا المهم الى هذا الامر فلم نكن نغمر في مدينة في طريقنا الا ونرى الاخوان المهاجرين قد اصبحوا يتحدثون عن الزراعة وبعضهم يستعد لها . فتم المقصود من توجيه انظار نزلة برمتها الى هذا الموضوع واقبل كثيرون منها على شراء المزارع والاراضي وذكروا اسماءهم في حينه واحوالهم صائرة من حسن الى احسن . ولا عجب فان الارض ام البشر الحنون

وهي جوادة كريمة تدر الخير والثروة على كل من يُعنى بها . ثم شرعنا في ان نفعل لدى حكومة الولايات المتحدة ما فعلناه لدى حكومة كندا من طلب اراض مجانية في ولايات معتدلة الهواء فنشرنا في الجامعة عريضة الى الحكومة الاميركية في هذا الشأن وقع عليها اكثر من الف نفس من اخواننا المهاجرين واعادوها اليها . ولكن فاجأنا الدستور وطلعت شمس الحرية في بلادنا فما وجدنا من حقنا بعدها ان نكون من اسباب ترك السوريين جنسيتهم العثمانية بعد ان اصبحوا بالدستور وطنيين قولاً وفعللاً ذلك لانه يشترط في اخذ الاراضي (المجانية) للزراعة في اميركا ان يكون الآخذ اميركياً او داخلاً في الجنسية الاميركية . فراينا ان من حق وطننا علينا ان لا نكون بعد تحريره سبياً في خسارته بعض ابناءه واثبات اقدمهم في ارض الغربة . وقد اصاب يومئذ رصيفنا الكريم المقنطف بقوله في هذا الشأن ان الاولى بعد الدستور حث المهاجرين على استعمار بلادهم قبل استعمار البلاد الغريبة . وهذا هو السبب في عدم تقديمنا العريضة يومئذ الى الحكومة الاميركية . ومع ان الاخوان الادباء الذين وقعوا عليها لم يفوضوا اليها حق التصرف بها فقد شرعنا اليوم في ان نبعث باوراقها الى جناب العلامة سليمان افندي البستاني احد نواب سوريا في مجلس المبعوثان ونائب رئيسه لا لامر سوى ان يطلع حضرته عليها ويطلع عليها ايضاً رصفاءه من نواب سوريا وغيرهم ليعلم حضراتهم ان وراء البحار شعباً كبيراً مستعداً لان يعمل في الزراعة لاهياء بلاد غير بلاده وارض غير ارضه فكيف به لو سهلت الحكومة له سبل العودة الى بلاده لاستعمارها بنفس الشروط التي تستعمل بها اميركا ارضها وهي اعطاء الارض مجاناً للطالبيين وتمييدها لهم سبل العمل فيها . فالأموال ان تفتح الحكومة العثمانية لاهياء المهاجرين هذا الباب في ما بين النهرين لتنتفع وتنتفع معاً . وكثيرون منهم ينتظرون ذلك اليوم كما اخبرونا شفاهاً . وقد قال العلامة البستاني في كتاب لحضرته الى الجامعة نشرت في نيويورك انه سيبدل جهده ليخدم من هذا الوجه المهاجرين والمقيمين الخدمة التي يتوقعونها . اخذ الله بيده ومثله من يرجى وبؤمل

مستقبل عظيم لما بين النهرين

وتقل البرق بالامس ار السير وليم ويلكوكس الذي عهدت اليه الحكومة العثمانية امر اصلاح الري والارض فيما بين النهرين التي خطبة في مجتمع عقدته الجمعية الجغرافية في لندن فقال ان الاصلاحات المنوي انشاؤها في ما بين النهرين ستجعل تلك البلاد مزاحمة لمصر كما كانت مصر تزاحمها في التاريخ القديم وان غلتها اي ارض ما بين النهرين ستكون مليون طن من الحبوب ومئة الف طن من القطن واثنا عشر مائة من الحراف والبقر في السنة .

وانه سينشاء لهذا الغرض خط حديدي بين دمشق و بغداد تقدر نفقته بمليونين جنيه و مائتي الف جنيه . وقال في موضع آخر ان مجموع النفقات التي تحتاج اليها تلك الارض لجعلها جنة غناء ١٠٣٤٠٩٠ ليرة عثمانية في جهات نهر الفرات و ٤٨٠ ١١١٠ ليرة عثمانية في جهات نهر الدجلة فضلاً عن ١٤٣٢٧٠٠ تمس الحاجة اليها بعد ذلك في النهرين . وان انشاء الخط الحديدي بين دمشق و بغداد الذي تقدمت الاشارة اليه يتم في عامين بعد تأريخ الشروع فيه واما اعمال الري و الاصلاحات المذكورة فنقتضي ٨ سنوات . وفي بدء الامر يعود مليون هكتار من الارض الى المدنية والحضارة كما كانت في زمن الفرس واليونان والرومان وتبقى بعد ذلك ٤ ملايين هكتار من الارض حول الدجلة والفرات تستعمر تدريجاً
عود الى مسألة رأس المال

فهذا مستقبل عظيم للارض العثمانية والراغبين في استثمارها . ولولا هذا المستقبل المحقق اذا استمر اهل الاصلاح جارين على الخطة التي يجرون عليها وحاجة البلاد العثمانية الى هم ابنائها وابديهم وأموالهم في تلك الارض التي لا بد ان تفتح للحضارة بعد الآن لكننا نقول لكل ذي رأس مال هذا القول الذي يعيدنا الى الموضوع الذي نحن في صددده وهو : اذا كنت ذا رأس مال وتريد المهاجرة فاحمل رأس مالك واذهب حالا وابذره في ارض اميركا ولا تعمل فيها عملاً آخر غير هذا العمل لانه خير الاعمال فيها فترده اليك تلك الارض العظيمة الواحد مئة والمئة ألفاً والالف عشرة آلاف . ان (الخياره) الواحدة تباع في اسواق اميركا بقرش صاغ وكفى . ثروة الزراعة وتربية المواشي فيها فوق كل ثروة وقد جمع الابرلنديون والالمانيون منها في اميركا ملايين من الريالات . ولقد احسن رصيفنا الاتحاد المصري الاغر في نصحه بعد ذكره مشروع الجامعة للمهاجرين الذين يستمرون على المهاجرة حتى بعد الدستور ان يتخذوا الزراعة في اميركا عملاً لهم الى ان تفتح ابواب الرزق في بلادهم .

ان المهاجرة كانت وما زالت في الاض قوة من قوى الامم ومنفذاً لنشاطها ومصالحها ولكل أمة كبرى مستعمرات تحت ابناءها على المهاجرة اليها لتعميرها . فليس المراد بقولنا « ابحت وحاذر قبل ان تهاجر » تثبيط العزائم عن المهاجرة وقتل الاقدام في النفوس وخصوصاً في النفوس الشرقية التي لا تزال في ابتداء شوطها فيه . ولكن المراد تنظيم المهاجرة الى اميركا وتدبيرها وصرفها في الطرق التي تؤدي الى الغاية . ولا يخفى ان الامم التي تخرج جزءاً منها الى المهاجرة تستهلك بعض هذا الجزء وذلك بسقوطه في ميدان الجهاد ويبقى لها

الباقون اقرباء ولكن 'يشترط في هذا ان تكون الطريق مخطوطة خطة صحيحة يستفيد منها سالكوها كل ما يستفيد به الرجل القوي الذي يعمل عملاً صحيحاً ويضعه في موضعه . واذا كانت تلك الخطة صحيحة وتنتجتها اكيده فالامة يقل فيها عدد المستهلكين ويكون من يبقى لها قوياً قوة حقيقية فضلاً عن ان الجيل الاول يكفي نفسه بصحة خطته عذاباً وعناءً وشقاءً . لما نظرنا في مرسيليا والهافر وجنوي وفي البواخر الوف المهاجرين اورويين واسيويين وافريقيين فضلاً عن السوريين يزعمون بعضهم بعضاً وعلى وجوههم دلائل الاهتام واشتغال البال وفي حركاتهم وسكناتهم حتى اناشيدهم ما يفتطر له الجماد وكلهم مسرعون بقلوب ملوؤها الخوف والرجاء والالام والامل الى دار اليسر والثراء لالقاء دلوهم في الدلاء لم نتمكن ان صحنا كما صاح موريس دوناي الروائي الفرنسي الطائر الصيت في روايته « العودة من اورشليم » فان بطل هذه الرواية وهو اسراييلي شاهد ابناء وطنه مئات مئات وراء سور سليمان في اورشليم سيكون ويندبون هيكاهم وامتهم وتاريخهم فصاح « بعد هذا المنظر ساقف حياتي لخدمة هؤلاء التمساء »

ومن رأى اوفيانوس المهاجرة الى اميركا تقذف امواجه البشر الى تلك القارة الوفاً وملايين بعضهم للتعبد والفناء وبعضهم للراحة وحسن المعيشة لا يتالك ان يتعن بعدعودته ان كل مريد للمهاجرة يحسن تدبير نفسه ورسم خطته واتخاذ عدته قبل مهاجرته . لاسيما وان مستقبل بلادنا سيكون عظيماً



السينماتوغراف والطب والميكروبات

اكتشاف جديد * ان الميكروبات التي لا ترى بالعين المجردة اصبحت منظورةً تتحرك وتتحارب امام الراي كما تتحرك الصور المتحركة * تأثير هذا الاكتشاف على مستقبل الطب



شغل السينماتوغراف (الصور المتحركة) ابناء العصر صغاراً وكباراً وراج لديهم رواجاً عظيماً . وما كان يخطر في البال ان هذا التمثيل التصويري الذي نشأ للفكاهة وترويح النفس ينقلب وسيلة علمية الى الاكتشاف العلمي والدرس الفسيولوجي والبكتريولوجي . وقد انقلب الآن ودخل في عالم العلم واصبح من آلات العلماء

وتفصيل الخبر ان الدكتور كومندون الفرنسي وجد طريقة لتصوير ميكروبات الامراض والجراثيم على الاطلاق تصويراً متحركاً بالسيناتوغراف فاصبح العلماء يقدرّون على مشاهدة الجراثيم وهي تتحرك في الدم وتتقاتل وتتنازع مشاهدات طويلة يمكنهم معها ان يدرسوا ما فاتهم درسه من طبائع بعض الجراثيم وحركاتها . وقد عدوا هذا الاختراع من انفع الاختراعات لعلم الطب

﴿الهيبرميكروسكوب﴾ هي الآلة التي امكنهم تصوير الميكروبات والجراثيم بها تصويراً متحركاً يمثلها في معيشتها تمثيلاً كاملاً . وهي تكبرها عشرة آلاف مرة فتظهر بها البعوضة مثلاً كأنها بناية ذات ست طبقات كما قال الميسوفيللر . وقد جعلوا النور الذي يلقى على بلائين الهيبرميكروسكوب لانارة الجراثيم بغية تكبيرها وتصويرها — جعلوه يُلقى عليها منجنيّاً لا افقيّاً او على موازاة محور الآلة كما يفعلون في الميكروسكوب وذلك لكي لا يحتاجوا الى تلوين المادة المراد مشاهدتها بل يبقى لها لونها الطبيعي وتبقى جراثيمها حية والسيناتوغراف بصورها يحسب ألوانها . وصيانة للجراثيم من الموت اذا أُطيل عرضها على النور الملقى عليها كما يقع في الميكروسكوب جعلوا لها آلة تديرها وتخفيها هنيئة عن النور في اثناء التصوير لابطال فعله فيها فضلاً عن جعلهم النور ينفذ خزاناً فيه ماء قبل نفوذها اليها فيضعف تأثيره عليها . وهي في كل حال لا تستمر معروضة امام النور الاّ نصف ثانية



الميكروبات والجراثيم مصورة صوراً متحركة

﴿احدى الصور﴾ وقد رسمنا هنا احدى الصور المصورة بالهيبرميكروسكوب . وهي رسم نقطة من دم عصفور حُقن بجراثيم داءِ يفتك بدجاج البرازيل . ولما تمّ التصوير

• سينما توغراف مركباً على الهيبروميكرسكوب خرجت الصورة وهي تمثل مايلي
تري كريات الدم الحمراء ظاهرة في الرسم وتشاهد ميكروباً وباء الدجاج البرازيلي
بشكل خيوط كما ترى . وتراها امامك تتحرك صاعدة وهالطة بسرعة وهي تارة لتتقدم وطوراً
لتأخر واحياناً لتتصادم فيدخل بعضها في بعض فتظهر مثناة او مثلثة وتبقى متصلة بعضها
ببعض وتارة تصطدم احداها باحدى كريات الدم الحمراء فتغوص فيها وتحاول التماس فلا
تستطيع فتبقى سجيئة وتارة أخرى تغوص في كرية حمراء فتنفذها وتخلص . وتري في
الزاوية احدى الكريات البيضاء لتتقدم ببطء وهي ملتفة حول نواة واحياناً تصادف هذه
الكرية في طريقها الكرية الحمراء التي اصطدم بها ميكروب الوباء وجرحها وكاد يتلفها فتحيط
بها الكرية البيضاء وتشرح في افتراسها

وقد استعان المخترع بمجل بانه واخوانه صاحب الصور المتحركة المشهور في اوروبا
واميركا ومصر ايضاً . فهل نشاهد قريباً جرائم التدرد الرئوي والكوليرا والطاعون وغيرها
من الوباء التي تجتاح الانسانية ممثلة حياتها بالصور المتحركة في سينما بانه في مصر تمثيلاً
علمياً صحيحاً فنراها امامنا كما تكون في الحقيقة في ابدان المصابين بها . يظهر ان طور
العجائب والغرائب في الارض لم يختم بعد . وان ابناءنا واحفادنا سيرون اموراً عظيمة .

اكتشاف دورة جديدة للارض

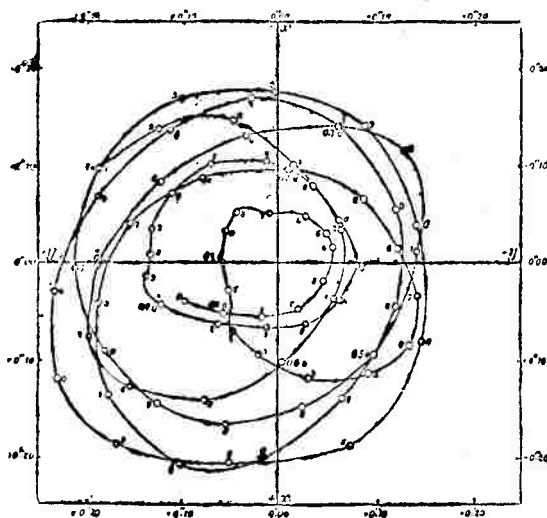
نقطة القطب ليست بثابتة * رسم تنقلاتها * فاذاً للارض

حركة جديدة لم تكن معروفة * السبب الذي

من اجله لم يجد بيرى اثر الكوكب



لما تنازع بيرى وكوك منذ بضعة اسابيع في ايها سبق الى القطب الشمالي كتب
العالم الفلكي الميسيو فلاديمير المشهور فصلاً هذه خلاصته
ان الارصاد الفلكية اثبتت منذ حين ان نقطتي القطب الشمالي والقطب الجنوبي
ليستا ثابتين بل تتغيران شهراً فشهراً وعاماً فعاماً . وقد رسم الميسيو فلاديمير الرسم
الذي رسمناه هنا ليدل على مبلغ ذلك التغير ومكانه وهو رسم مساحته ١٢ متراً من
الارض في القطب الشمالي وهي المسافة التي تنقلت فيها نقطة القطب الشمالي بين سنة
١٨٩٩ وسنة ١٩٠٩ ولم تخرج عنها كما قال .



مواقع انتقال نقطة القطب الشمالي في عشر سنوات

✽ سبب هذا التنقل ✽ وقد بحث الباحثون في اسباب هذا التنقل فخصروها في مايلي . تغير مركز الثقل في الارض بسبب تغير بحاري الاوقيانوس ومراكز آكام الثلوج والمد والجزر الشديدان والفواعل الطبيعية في جوف الارض . ولكنهم لم يحققوا احدها بعد .

✽ حركة جديدة للارض ✽ واذا صح هذا التنقل في نقطة القطب فيكون للارض حركة جديدة كانت مجهولة . وتصبح حركات الارض ١٢ حركة لا ١١ حركة منها حركة الارض على نفسها في ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة وحركتها السنوية حول الشمس في ٣٦٥ يوماً وربع يوم وحركتها الشهرية من تاثير القمر وحركتها من تغيرات القمر كل ١٨ سنة ونصف سنة وحركتها حركة اهتزازية بسبب تاثير السيارات الاخرى عليها وحركتها بسبب تغير مركز الثقل في النظام الشمسي وحركتها مع جميع اعضاء النظام الشمسي حركة عامة الخ . وتضاف اليها الان حركتها على نفسها حركة انتقال نقطتي القطب في سطحها

ولما كان كوكب يقول انه اكتشف القطب الشمالي قبل بيري بسنة فلا يبعد اذا كان كلاهما صادقاً ان تكون النقطة التي بلغها كل واحد منهما وكانت هي القطب في يوم وصوله بعيدة عن الاخرى بضعة امتار . ولذلك لم يقف احدهما على آثار الآخر

عود

الى فلسفة نيتش

والى تاريخ رنان

منذ شرعنا والجامعة في نيو يورك في تلخيص فلسفة الفيلسوف نيتش ظهر في فرنسا ثلاثة كتب في شأنه . الاول كتاب كتبه الميسواميل فاكه احد اعضاء الاكاديمية الفرنسية عنوانه (*en lisant Nietzsche*) والثاني للمسيو دانيال هاليبي وعنوانه (حياة فردريك نيتش) والثالث كتاب لنيتش نفسه وهو آخر كتبه وربما كان احدها واشدها نظراً وغلواً وعنوانه (*ecce Homo*)

وقد طالعنا الكتاب الاول بين كندا وشالات ياغرا والثالث في اثناء اقامتنا في باريز واما الثاني فلم نطلع عليه بعد لانه ظهر في هذا الشهر . قالت جريدة الديبا في نقر يظها له « مضى على مولد نيتش ٦٥ سنة ومضى على وفاته تسع سنوات ومع ذلك فشهرته آخذة في الازدياد وتأثيره آخذ في التعاضم واليه يعزى رد الفعل الذي حدث في افكار أهل أوروبا في شأن الاشتراكية » وروت في موضع آخر ان شقيقة نيتش مدام فورستر نيتش اعلنت عزمها على انشاء متحف لاثاره في نفس المنزل الذي كان يعيش فيه فانها تلت عليها الاموال من جميع انحاء العالم فانشأت بها المتحف وجمعت فيه جميع آثار الفيلسوف وزاد لديها من المال مبلغ كبير جعلت من فائدته خمس جوائز سنوية قدر الواحدة ١٥٠٠ او ٢٠٠٠ مارك تدفع لمن يمتاز بمعيشته بحسب مبادئ الفيلسوف اخيها اي ان يعيش مسروراً فرحاً بالحياة ويقوي نفسه ويحب ذاته . . .

ومها قيل في فلسفة نيتش مدحاً أو ذمّاً — ومادحوها وذاموها كثيرون — فاننا بعد مطالعتنا خمسة من كتبه التي هي اهم ما كتبه ما زلنا نعتقد بما جهرنا به منذ سنتين يوم شرعنا لاول مرة في تلخيص فلسفته وهو ان مبادئ هذا الرجل تحتوي على كثير من الحقائق الضرورية للحياة وعلى ابناء الشرق ان يطلعوا عليها ليشددوا نفوسهم بها . ونريد بهذه المبادئ

تلك التي صب فيها المؤلف كل ما أُعطي من قوة النفس وحماسها لتحبيب الحياة والنشاط والقوة الى الناس وخلقهم بهذه الصفات خلقاً جديداً ومسحق الانحطاط في النفوس والهضم والام . كما انها تحتوي أيضاً على كثير من المبادئ التي لا نرى الآن موضعاً لها في الشرق ولا يمكن العمل بها في هيئة اجتماعية تُسمى هيئة اجتماعية بحسب المفهوم اليوم من هذه الكلمة . ولما كنا شرعنا في العودة الى تلخيص فلسفة هذا الفيلسوف فسنستمر في الخطة التي اتبعناها من قبل وهي ان نلخص منها كل ما لا يمس الاديان والعادات الحاضرة لان غرضنا استخراج لباب القوة والحماسة من كتيبه والاعراض عما بقي .

وكانت الجامعة قد شرعت ايضاً من قبل باستخراج (تاريخ اصول الديانة المسيحية) لمؤلفه الفيلسوف المستشرق ارنت رنان ونشرنا منه الجزء الاول وهو تاريخ المسيح بعد حذف ما لا يحسن نشره وبقيت اربعة اجزاء بدأنا باولها وهو تاريخ اعمال الرسل فلخصنا فيها بضعة نصول منه ثم انتقلت الجامعة الى نيو يورك ولم نعد اليه . على اننا سنشرع في اتمام هذا الكتاب الذي كنا بدأنا في تعريبه ولا يصح ترك تعريبه ناقصاً بعد الابتداء . وسنجري فيه على نفس الخطة التي اتبعناها في امثاله من الكتب التي فيها ما يُقال وما لا يُقال وما يُكتب وما لا يُكتب . اي اننا نقصد استخراج الفوائد التاريخية والفلسفية والاجتماعية التي لا يمكن ان توجد في مصادر غيرها ونضرب صفحاً عما بقي مما لا يفيد احداً نشره

زاراتوسترا

وهو أبلغ كتب الفيلسوف نيتش وأجملها

كتبه بأسلوب رواية جعل بطلها (زاراتوسترا) الهائل

على ان ما نشرناه في ما سبق من فلسفة نيتش كان تلخيصاً لبعض مبادئه جمعناها من عدة صفحات في عدة من كتيبه لنتمكن من ان نبسط للقارئ جميع جوانب نفسه . وسنستمر في هذا السبيل ولكننا نقرن تلخيص افكاره بتعريب روايته المشهورة التي سماها « هكذا قال زاراتوسترا » والتي هي ابلغ وادق ما خرج من قلمه وبعضهم يقول انها اجمل ما كتب باللغة الالمانية الا ما كتبه الشاعر المشهور جوت الذي كان معاصراً لنيتش وكان نيتش يقول عنه « انه الالماني الوحيد الذي أحبه واحترمه » ولكن هذه الرواية دقيقة للغاية ولا يفهم رموزها ومعانيها الا الذي يطيل النظر فيها ويعلم اغراض المؤلف ومبادئه . وكانها

لسمو مواضيعها وغرابة آرائها وشدة وطأتها وحدة لمجتها واحاطتها بجميع افكار البشر ومبادئهم — قصيدة متناهية في الاستطالة رأسها في اعلى السماء وطرفها الآخر في اسفل الارض نسج بردها اله لا انسان لانه يتكلم ويكتب كمن في بده سلطة الآلهة ويحطم مبادئ البشر وكل معروف ومألوف لديهم تحطياً دوت له الدنيا . ثم هولاً يكتفي بالهدم بل يحاول البناء فيضع مكان ما حطمه مبادئ لم يقل بها احد قبله وقد بالغ فيها حتى قيل ان المرض الذي اصابه قبل وفاته وافضى الى اصابته باختلال الدماغ كان ذا تاثير على تلك المبادئ وسبب تلك المبالغات . ولذلك جمع بعضهم فلسفة نيتش في قوله عنها « انها خليط من الجنون والحكمة » — والله أعلم بالمنقبيل

وهذا أوان الشروع في تلخيص هذه الرواية الغريبة التي جمعت خلاصة مبادئ الفيلسوف وأقامت العلماء وأقعدتهم في حينها وليس في عالم العلم والأدب في هذا الزمان مفكر الا واطلع عليها وفكر في مواضيعها .

تمهيد زاراتوسترا



« لما بلغ زاراتوسترا الثلاثين من عمره هجر وطنه وبجبرته واتجه نحو الجبل . فأقام فيه عشر سنوات يتمتع بعزلته ويخلو بنفسه دون أن يسأم العزلة والخلوة . ولكنه في ذات يوم تغير قلبه فبكر بكور الغراب واتجه نحو مشرق الشمس وطفق يخاطبها قائلاً :

« ياأيها الكوكب العظيم . ماذا كانت لذتك لولا الأشياء التي تنبسط امامك ونيرها بنورك . لقد انقضت عشر سنوات وانت تطلع علي في مغارتي هذه ولولا انك لنيرني ونير نسري وافعاي (١) لعراك الضجر والسآمة

نحن ننتظرك في كل صباح ونأخذ منك مايفضل عنك، ونشكر لك . ولكنني الآن قد ضجرت من عزلي وحكمتي فجز النحلة من عسلها اذا جمعت كثيراً منه . وأصبحت في حاجة الى ايد تنبسط الي لا تمنحها منجاً تجعل الحكماء من الناس يفرحون بجنونهم والفقراء سعداء بثر وتهم .

ولذلك سأغوص الى الاعماق كما نفعل انت حين تغوص وراء البحار لتمحو الظلام

(١) سترى فيما بعد ماذا يقصد بالنسر والافعى

بنورك . اني سائر مثلك (لأغيب) في وسط الناس الذين انا هابط اليهم
فبارك فيّ يا صاحب العين الساكنة التي ترى سعادة من لا أحد لسعادته ولا
يعروها الحسد .

بارك في الكأس التي ستنفيض . وفي الماء الفضي (١) الذي سيجري منها حاملاً
للشجر جمال مسراتك .

ان هذه الكأس تبغي الفيضان ثانية . وزاراتوستره يرغب في ان يعود انساناً
وهكذا بدأ المخطاط زاراتوسترا

٢

فهبط زاراتوسترا من الجبال ولم يلقَ في هبوطه أحداً . ولكنه ما بلغ الغابات حتى
راى امامه شيئاً كان يأوي الى كوخه المقدس في الغاب وخرج في طلب اصول الاشجار .
فقال هذا الشيخ

« اتذكر انني رأيت من قبل هذا المسافرين . فقد انقضت عليه اعوام وهو يمر في هذا
المكان . وكان اسمه زاراتوسترا ولكنني اراه قد تغير

وقد كنت من قبل تحمل الرماد الى الجبال فهل بدا لك اليوم ان تحمل النار الى
الاودية والمدن . الا تخشى عقاب موقدي النار

نعم هذا زاراتوسترا . ولكن ليس في شفقه ما كان فيها من تقلص الاشعثزاز . هذا
هو ولكنه قد تغير واصبح طفلاً . بل انتبه وافاق . فما جئت تفعل الآن بين النيام ؟ لقد
كنت تعيش في عزلة تامة كما يعيش المرء في وسط البحر وكانت مياه هذا البحر تحملك
فالويل لك ان تريد الآن الوصول الى الشاطئ ؟ الا تخشى ان يترفض جسمك على صغوره
فاجابه زاراتوسترا « انني احب البشر »

فقال الشيخ الحكيم « لم اتبطن الغابات واختار العزلة فيها الا لانني احببتهم حباً
شديداً . فجميعهم هو الذي قادني الى هنا . اما الآن فانني احب الله ولا احب البشر لان
حب البشر قتال . وما الانسان عندي الا كائن شديد النقص

(١) في الاصل (الذهبي) ولكن لفظ (الفضي) اقرب الى اللغة العربية . وغني
عن البيان اننا لنخص الكتاب تلخيصاً ملتزمين الاصل ما امكن الالتزام

فقال زاراتوسترا: «ما جئت لاجهم ولكنني جئت لامنهم منحة»
فقال الشيخ الحكيم لامنحهم شيئاً بل اسلبهم شيئاً وساعدهم على حمله . وهذا انفع
الامور لهم . على شرط ان ذلك ينفعك ايضاً . واذا شئت منحهم شيئاً فتصدق عليهم قليلاً
ولا تعظمهم الا اذا سألوك

فقال زاراتوسترا . كلا لا اتصدق على احد لانني لست فقيراً الى هذا الحد
فاخذ الشيخ يضحك من زاراتوسترا ثم قال : فابذل جهدك اذا في ان تجعلهم يقبلون
كنوزك لانهم لا يركنون الى المعتزلين المنقطعين ولا يصدقون اننا اذا قصدناهم نقصدهم
لاعطائهم شيئاً . وان وقع قديمي المعتزل المنقطع يدوي في آذانهم دويّاً غريباً . فثلمهم
في هذا مثل الراقد في فراشه . وسمع في الشارع قبيل الصباح وقع اقدام في الطريق
فيستاءل اين ذاهب هذا اللص — ذلك لانه يظن كل معتزل مبكر له

فلا تذهب الى الناس واستمر مقيماً في الغاب . بل اذهب الى الوحوش واصحبها ولا
تذهب الى الناس . لماذا لا تفعل فعلي فتكون حيواناً بين الحيوانات وطائراً بين الطيور
فقال زاراتوسترا . وما تفعل ايها القديس في الغابات

فاجاب الحكيم . انني اصنف اناشيد وانشدها وفي اثناء نشيدها اضحك وابكي واسر
النجوم واجهر . وبذلك احمد الله واشكره . ولكن اخبرني ماهي المنحة التي حثنت بها
فلما سمع زاراتوستره كلام الشيخ التي عليه تحية الوداع وقال «ماذا ينتظر مثلك من
مثلي ؟ ارى الاولى بك ان تتركني انطلق في سبيلي على عجل لئلا اسلبك شيئاً بدل ان
اعطيك»

وعكذا افترق الاثنان وهما يضحكان احدهما من الآخر ضحك الاطفال
ولما اصبح زاراتوسترا منفرداً قال في نفسه وهو سائر في سبيله «اهذا ممكن ؟ كيف لم
يسمع بعد هذا الشيخ القديس في غابه ان ذلك المبدأ قد مات»
(ستأتي البقية اذ ننشر في كل جزء بلى ٦ او ٨ صفحات من هذا الكتاب)

رواية مريم قبل التوبة

لم ننشر نعمة هذه الرواية في بدء هذه السنة لرغبنا في ان نبدأ السنة برواية جديدة
بقراءها قراؤنا القدماء ومن جد منهم . ولذلك سننشر في الجامعة رواية جديدة . اما
(مريم قبل التوبة) فسنتم طبعها على حدة ونعلن ذلك حين فراغنا منه

الشعر القديم

بين المعتمد بن عباد سلطان الاندلس وابنه الرازي
* شعر الملوك وآراؤهم في قوة الدول

نشرنا فيما سبق للمعتمد بن عباد حين كلامنا عن زوال دولته في الاندلس شعراً
استحسنه بعض الافاضل . وقد عثرنا له على آيات اخرى جميلة يخيل اليك وأنت نقرأها
انه أب من آباء الزمن الغابر يلوم ابنه لاشتغاله بالعلم عن اعباء الحياة وشواغلها . وكان
العلم من قبل نظرياً ولم يكن من شأنه ان يعدّ معدات القوة للمملكة كما هو شأن العلم اليوم
الذي يخترع الاختراعات التي تزيد في قوة الجيوش والاساطيل وتجعل الامة السابقة في
هذه الاختراعات منيعة الجانب . ولذلك فالمعتمد معذور في ما كتبه لابنه . ولكن تأمل
في حلاوة تهكم الملوك الشعراء وتخلصهم بعد ذلك الى الجد . وخلاصة الرواية ان المعتمد
أراد ان يقدم ابنه الرازي على جيش لمحاربة « بادس بن جبوس » في غرناطة فتعارض
الرازي على ابيه واعتذر لاشتغاله باصناف العلوم واعتكافه عليها . فخرج المعتمد بنفسه
لمحاربة عدوه وتخلف ابنه الرازي فهزمه العدو فعاد المعتمد الى اشبيلية وهجر ابنه الرازي
فكتب اليه ابنه الرازي يقول :

لا يكبرك خطب المحدث الجاري فما عليك بذاك الخطب من عار
ماذا علي ضيغم أمضي عزيمته ان خانه حد أنياب واظفار
عليك للناس ان تبقى لهم سنداً وما عليك لهم اسعاد أقدار
لو يعلم الناس حقاً ان تدوم لهم لم يخفوك بشيء غير أعمار

فاجابه المعتمد

الملك في طي الدفاتر فيل عن قود العساكر
طف بالسريير مسلماً وارجع لتوديع المناير
وازحف الى جيش المعاد رف تهزم الخبر المقامر
واطعن باطراف اليرا ع نصرت في ثغر المحابر
واضرب بسكين الدوا ة مكان ماضي الحد باتر
اولست اسطاليس ان ذكر الفلاسفة الأكاير

وكذاك ان ذكر الخليل
وأبو حنيفة ساقط
من هرمس من سيبويه
هذي المكارم قد حوى
واقعد فانك طاعم
لحجبت وجه راضي عند
أولست تذكر وقت ور
لا يستقر مكانه
هلا اقتديت بفعله
قد كان أبصر بالعوا
ل فانت نخوي وشاعر
في الرأي حين تكون حاضر
من ابن فورك اذ تناظر
ت فكن لمن جاراك شاكر
كأس وقل هل من مفاخر
لك وكنت قد تلتقاء سافر
قبة حين قلبك ثم طائر
وابوك كالضرغام هادر
وأطعته اذ ذاك أمر
قب والموارد والمصادر

فاجابه ابنه الراضي

مولاي قد اصبحت كافر
وفلت سكين الدواة
وعلمت ان الملك وال
لا ضرب اقوال باة
قد كنت أحسب من سفا
واذا بها فرع لها
وهجرت من مميتهم
ان كان في فضل فنة
او كان في نقص فنة
ضحك الموالي بالعبية
لاتنس يا مولاي قو
ضبط الجزيرة عند ما
ايام ظلت بها فري
اذ كان يغشى ناظري
ويصم آذاني بها
وهي الحضيض سهولة
بجميع ما تحوى الدفاتر
وظلت للاقلام كاسر
علياء في ضرب العساكر
والضعيفات مكاسر
ه انها اصل المفاخر
والجمل للانسان غادر
وجمحت منهم اكابر
لك فهل لذك النور سائر
ني غير ان الفضل غامر
مد اذا تواصل غير ضائر
لة ضارع الاقوال فاجر
نزلت بعقوتها العساكر
مدأ ليس غير الله ناصر
لمع الاسنة والبواتر
قرع الحجارة بالحوافر
لكن ثبت بها مخاطر

هب زلتي لبنوتي واغفر فان الله غافر
 فلم يزد ذلك الا تمادياً في هجرانه فكتب اليه ايضاً
 مولاي اشكو اليك داءً اصبح قلبي به جريحاً
 سحقك قد زادني سقاماً فابعث لي الرضا مسيحاً
 فرضي عنه وادناه

حكاية

الصيني والبيضة والدجاجة

حكاية صينية ذات مغزى

زعموا ان صينياً من أهل الراي والفهم
 كان يعنى بتربية الدجاج وكان لديه منها
 طائفة سمينة تبيض له في كل اسبوع ايضاً
 غزيراً . ففي ذات يوم كان يقلب البيض
 ويعجب به فخطر في باله هذا السؤال : ايهما
 كان خلقه اولاً البيضة ام الدجاجة ؟ هل
 خلقت البيضة اولاً ثم انتجت دجاجة ام
 خلقت الدجاجة اولاً وأنتجت البيض .
 وبعبارة اخرى : هل البيضة سبب ام مسبب .
 فغار في هذه المسألة وانقطع اليها يباحث فيها
 اصدقاءه وجيرانه ويقرأ الكتب العديدة
 توصلاً الى حلها . وكان جيرانه وعابرو
 السبيل يرونه مشتغلاً بها مهتماً لها ليله
 ونهاره . ففي ذات يوم مرَّ بيا به بعض
 المتشردين ورأوا اهتمامه وعلما سببه فتعاضوا
 وانطلقوا في سبيلهم .



وفي صباح اليوم التالي نهض الصيني الى قفص الدجاج ليرى البيض الجديد . فرأى القفص فارغاً لا يبيض ولا دجاج فيه . ذاك لان بعض اللصوص هبطوا الى البيت بينما كان صاحبه الصيني غارقاً في بخور من التأملات والابحاث في أصل البيضة والدجاجة فسرقوا مافي القفص من البيض والدجاج وانطلقوا دون ان ينتبه اليهم

مغزاه — ان من يشغل نفسه بالبحث في اصل الأشياء يفقد تلك الاشياء نفسها . ولدى العرب مثل مشهور شبيه بهذا الثل . وهو مثل عالم فلكي كان يرصد النجوم في ليلة ظلماء وهو سائر في الطريق فانهى الى حفرة وسقط فيها فانصدعت قدمه . فمرّ به رجل وقال له : يا هذا قبل ان تعلم ما فوقك اعلم ما امامك لئلا تقع في التهلكة .

ولكن لودري صاحباً هذين المثليين ان جميع الامور العظمى التي وجدت في العالم لم توجد الا بذلك الهوس في سبيل المجهول لقيسدا مثليهما بشروط كأن يقولوا مثلاً : يحسن بالدنيا ان يكون فيها أمثال ذلك الصيني والعالم الفلكي بازاء من فيها من همهم مصروف الى ما امامهم من المعلومات والمحسوسات . اولئك يعملون واتهم الفكر وهو لا يعملون واتهم المادة . ولا تكمل الحياة ويتم فيها فعل الارتقاء الا اذا استوفت الامرين وجمعت بين الطرفين

لكن في بلاد ضعيفة كبلادنا الشرقية نرى ان الاولى تقدم آلة العمل المادي على آلة العمل الفكري اذا تعذر الجمع بينهما معاً . لانه اذا أصاب الآن جميع العقول الثاقبة والقلوب الذكية هوس الفكر وهوى البحث في ما وراء المعلوم وتمكننا منها أدى ذلك الى ضعفها وهونها لانها لم تقدر بعد على أن تخزن في نفسها أوفي مجموع الامة التي هي منه قوى ادبية أو مادية تحتل هذا الانقطاع دون ان يصيبها ما يقترن به عادة من دوار وشدة وشذوذ من جهة وما يجرّ عليها ذلك الانقطاع من الذهول عن مصالحها التي فيها قوامها من جهة اخرى . فالواجب الآن ان نقوى وتعمل أولاً . وهذه اولى المراتب ويلبها ما عداها .



فصول صغيرة خصوصية

بين الجامعة وقراءها

— ❦ —

— يرى القراء اننا تركنا اسم الجامعة في مقدمة هذا الجزء كما كان في نيويورك اي فوقه النسر الاميركي وشعار اميركا وهو النجوم التي تدل كل واحدة منها على ولاية من ولاياتها . وقد قصدنا بذلك ان نبقى في جسم الجامعة اثرًا من اميركا يذكرنا كلما وقع نظرنا عليه تلك الرحلة البعيدة كما بقي في روحها اثر منها

— بقيت وكالة الجامعة في الاسكندرية كما كانت في يد صديقها جناب الاديب الفاضل السيد شمس الدين افندي الصحن التاجر في سوق الميدان بالاسكندرية . وحق عليها ان تهدي الى حضرته واسائره وكلائها شكرها العاطر للخدمة الودية صرفًا التي خدموها بها مدة ثلاث سنوات في اثناء غيابنا

— بعثنا بالجامعة الى مئات من مشتركها الافاضل في اميركا الشمالية والجنوبية الذين طلبوها قبل سفرنا من نيويورك فضلاً عن الذين لم ينته حسابهم معها لان اشتراكهم لم يكن في بدء سنتها . وربما وقع خطأ ولم نبعث بها الى بعض قرائها واصدقائها الذين يحبون اقتنائها . فنرجو من كل من لاتصله الجامعة ان يذكرنا بخطأنا وله الفضل — لم نستطع المجاوبة عن جميع الرسائل التي تفضل بها الاصدقاء والقراء على الجامعة قبل ظهور هذا الجزء لاشتغالنا بأمر التأسيس فنرجو من فضلهم المעذرة مع قبول عاطر شكرنا وامتناننا لودادهم وغيرتهم . والكريم من عذر

— من كان في نفسه شيء واحب السؤال عنه في ما يختص باميركا والمهاجرة اليها او في شؤونها العمومية واحوال مدينتها فالجامعة تجاوبه عنه في صفحاتها بطيب خاطر — كانت الجامعة تنشر في نيويورك فصولاً عنوانها (شيخ كوني آيلند) تنشر فيها اخبار شيخ عربي مصري كان يأوي الى (كوني آيلند) بلدة الملاهي والملاعب قرب نيويورك . وقد لقينا هذا الشيخ في الجزيرة بمصر منذ اسبوع ولذلك سنشر في الجزء التالي بنشر اخباره الجامعة بين الهزل والجد تحت هذا العنوان (شيخ كوني آيلند بين الاهرام وايب الهول)

— كل صديق للجامعة او محب لها ينشرها بين اثنين من اصدقائه اي يجلب لها

مشاركين اثنين فقط يضاعف فضله عليها . فالرجو ان تقرأ هذا الجزء ثم تضعه بين يدي
اصدقائك لحثهم على اقتنائها لتزداد قوتها في خدمتك وخدمة قرائها
— لما تسلمنا دفاتر مشتركى القطر المصري من جناب وكيل الجامعة العام في الاسكندرية
وجدنا ان كثيرين من مشتركىها في القطر لم ينهوا حسابهم مع حضرته بعضهم عن سنا
وبعضهم عن سنتين . ونظن ان هذه الاشارة تكفي فينهي حضراتهم حسابها الماضي بان
يبعثوا بالبدل الى الادارة في مصر حواله بوسطة لانه يصعب علينا جداً مزج حساب
السنوات الماضية بحساب السنة الجديدة . وفي عزمنا قطع المجلة عن كل مشترك لا ينهي
حساب السنة الماضية في مصر والخارج ايضاً

مِطْبُوعُ عَمَّالِ تَحْلِيلِ

(تأريخ الانسان الطبيعي)

ظهرت في الشهر الماضي ثلاثة كتب مفيدة تكللنا عن احدها وهو (روح الاجتماع)
في مقالة مسهبة في هذا الجزء . والكتاب الثاني لحضرة الكاتب الفاضل ولي الدين بك يكن
وعنوانه (المعلوم والمجهول) والثالث (تأريخ الانسان الطبيعي) لحضرة الكاتب الاديب
الياس افندي غضبان . وهذا الكتاب المفيد يتناول البحث في تأريخ الانسان في الارض
وفروعه وقبائله وكل ما يختص به منذ طفوليته الى شيخوخته . والكتاب يقع في ٤٨٩ صفحة
وهو مطبوع طبعاً منقناً ومزين بستة وثلاثين رسماً . واثر التعب في جمع تلك الفوائد وكتابتها
ظاهر للقارئ فنثني على حضرة صاحب الكتاب اجمل ثناء ونرجو ان يتنفع القراء بكتابته
وقد تحف حضرته الجامعة بالرسوم المنشورة في القسم الخامس من الكتاب وهي تمثل
تكون الجنين منذ البدء الى ولادته

كما ترى في الصفحة التالية

تكون الجنين ونموه في جوف أمه

(في منتصف الشهر الثالث)

(في آخر الشهر الاول)



(في منتصف الشهر الثاني)

(الجنين في اليوم الخامس)



(في الشهر السادس)

(في الشهر الخامس)

(في الشهر الرابع)



(في الشهر الثامن)

(في الشهر السابع)



(قبيل ولادته)



(في الشهر التاسع)

✽ كتاب الدكتور شمیل ✽ اعلن جناب العالم الفاضل الدكتور شبلي شمیل عزمه على جمع كتاباته العلمية والاجتماعية في مجلدات وقد شرع حضرته في طبع المجلد الاول منها وعنوانه (فلسفة الشؤء والارلقاء) وجعل قيمة الاشتراك فيه جنياً واحداً وهو سيظهر في وقت قريب . فنحث قراء الجامعة على اقتناء هذا الكتاب للاستفادة بعلم بطل من ابطال القلم في الشرق وجد من جدود ادباء هذا الزمن الذين كثيرون منهم اسنفادوا بعلمهم وهم يفخرون بمعاصرتهم لهم وان لم تتفق آراء بعضهم مع جميع آرائهم .

الصحة والمنزل العيلة

النساء سياسيات

لماذا نالت النساء حقوقهن السياسية في فنلاند ونروج ولم تلتها في انكلترا

تقدمت نروج وفنلاند جميع امم الارض في اعطائهن النساء حق الانتخاب في السياسة . ولذلك سببان . اما السبب في اعطاء المرأة حق الانتخاب في نروج فهو ان شرب الكحول

كالابست وغيره تنشى فيها نفشياً عظيماً فكان في مقدمة مقاومي هذا المسكر الذي كان يؤيده تجاره وصناعه فضلاً عن شاربيه . ولما كان يحدث اقتراع في شأن منع الكحول ومراقبتها في بعض المدن كان مقاومتها بلجأون الى ادخال النساء في الاقتراع لمعرفة مقاومتها لها . وقد افلح النرويجيون في مقاومة الكحول فاصبح يصيب الواحد منهم ٣ ليترات منها في السنة بعد ان كان يصيبه منها ١٦ ليترًا . ولما رأى الجمهور ان الفضل في ذلك للنساء وانهم أحسن التصرف في حق الاقتراع كفأوهن على ذلك بمنحهن حق التصويت ايضاً في الانتخابات السياسية . واما سبب اعطاء نساء فنلاند حق الانتخاب السياسي ايضاً فقريب من هذا . فان الحكومة الروسية أرادت ان تغير شرائع فنلاند التي هي ولاية مستقلة استقلالاً ادارياً وتحل اللغة الروسية محل اللغة الفنلندية فنارت خواطر الشعب الفنلاندي ولكنهم لم يجترئوا على المقاومة الصريحة خوفاً من الحكومة الروسية فتولى الأمر نساء فنلاند فنهضن نهضة واحدة يخطبن ويكتبن ضد مشروع الحكومة وانبثن في المعامل والمتاجر والمزارع الفنلندية ينشرون روح المقاومة . ثم اشتغلت روسيا بحربها مع اليابان في منشوريا فترك هذا المشروع بتاتاً . فبعد تركه تذكر الفنلانديون ماظهره نساؤهم من الكفاءة وقوة الحجة ولطف المقاومة مع دفتها فكفأوهن على ذلك باعطائهن حق الانتخاب السياسي ومنهن الآن نائبات في مجلس النواب الفنلاندي

ولقائل أن يقول كيف تقدمت في هذا هاتان الامتان أمة كالامة الانكليزية مثلاً التي استشهد كثيرات من نساؤها في سبيل هذا الحق وملأن انكلترا والدالم صياحاً واحتجاجاً . ولكن لاصرار الحكومة الانكليزية على منع النساء من حق الانتخاب السياسي سبباً وجيهاً جداً غير الاسباب الظاهرة . فان عدد النساء البالغات في انكلترا ٢٠ سنة ثمانية ملايين ونصف مليون وعدد الذكور البالغين ٢٠ سنة سبعة ملايين ونصف مليون . وهم أقل عدداً من النساء لان كثيرين من الرجال يخدمون خارج انكلترا في البحرية والسفن التجارية والجيش . فاذا أعطي الانكليزيات حق الانتخاب السياسي كان عدد منتخبتهن فوق عدد منتخبي الرجال اي تكون الاكثرية في ايديهن والحكومة تخشى ان يكون لذلك تأثير على مستقبل انكلترا . على ان بعضهم يقترح حل هذا الاشكال ان يجعل للذكور الغائبين عن انكلترا حق التصويت في زمن الانتخاب بواسطة من يبينونه عنهم وبذلك تبقى الاكثرية للرجال ويزول ذلك الخوف .

احد أولاد الاو باش

❖ أولاد الاو باش ❖ المراد هنا بالاو باش من يدعونهم في اوروبا (apaches) وهم الاشقياء الذين اعتادوا السطو على ابناء السبيل وسلبهم . ونسأؤهم يفعلن فعلهم فانهم اذا جن الليل خرجز الى الشوارع البعيدة المنقطعة عن الناس وهاجن النساء المنزردات او الرجال لسلبهم مامعهم . و احياناً يكون معهن اطفالهن ولكن الاطفال لا يمنعون امهاتهن من السطو لان الامهات يلففن الواحد منهم في سلة كما ترى في هذا الرسم ولليلة عروة مستديرة لتعليقها بالشجر او في نافذة في اثناء سطوهم . فيشهد الطفل وهو في سلاته معلقاً بين الارض والسماء شناعة فعل



امه . ولو فقه وادرك لأبى بعد ذلك الرضاع من ثديها ورد عنه قبلاتها

لعبة اميركية — اجمع طرايش الحاضرين في احدى السهرات وضعها بعضها فوق بعض ثم استرع سمع الجميع وقل انك قادر على ان تأخذ قطعة خبز وتأكلها ثم بعد اكلك لها توجد في نفسها تحت اي طربوش ارادوا من تلك الطرايش . فيستهيئ الحاضرون بكلامك . اما انت فخذ قطعة الخبز وامضغها وابعها ثم تناول الطربوش الذي عينوه لك فضعه على راسك . فتكون قطعة الخبز تحت طبعاً — اي في جوفك

الشوكة دليمة على المدنية — قالوا ان شوكة الطعام تدل على مبلغ ارتقاء كل مدنية واستشهدوا على ذلك بما يلي : ان شوكة المتوحشين مؤلفة من عود واحد يتناولون به الطعام . وشوكة شعوب الشمال مؤلفة من سنين وكذلك شوكة الصينيين . والشوكة الانكليزية مؤلفة من ثلاث اسنان . واما الشوكة الفرنسية فمن اربع — وغني عن البيان ان صاحب هذا الكلام فرنسوي . . .

سؤال - كان على غصن شجرة خمسة طيور فقدم صياد ورماها بالرصاص فقتل منها ثلاثة فكم طائراً بقي . - بقي ثلاثة طيور - وكيف ذلك وهي خمسة - الطيور التي بقيت هي الطيور التي قتلت . واما الطائران الآخران فلم يبقيا بل فرا

الخبز الجليبي

✽ احدى غرائب العلم الجديدة ✽ يعرف القارىء اختراع المستر كورن فيمونيخ لآلة التي دعوها (تليفوتوغرافي) والمقصود بها نقل للصور والرسوم بالتلفراف من بلدة الى أخرى على مسافة مئات من الكيلومترات . ولكن في الشهر الماضي اعلن المستر رومر من برلين انه اخترع اختراعاً اغرب من هذا وهي آلة دعاها (تليفزيون) اي الآلة التي ترى وتصور من بعيد . وقد تمكن ان يصورها الاشخاص والاشياء وهو بعيد عنهم عشرات من الاميال وينقل صورهم بالتلفراف . وهذه الآلة غالية الثمن لانها مؤلفة من عشرة آلاف جزء فلا يقل ثمنها عن ستة ملايين فرنك ويقال انها ستكون تحفة معرض بروكسل العام في العام المقبل

✽ مدينة من ذهب ✽ هدمت مصلحة السكة الحديدية في المكسيك عدة منازل في بلدة كاناجوانا تستخدم ارضها لمنافعها ولكنها لما خضت الارض وجدت ان كل طن منها يحتوي على مائة غرام من الذهب ولما علم الاهلون بذلك شرعوا يهدمون منازلهم ويحفرون تحتها لاستخراج الذهب فاستخرجوا منها ما قيمته ٢٥٠ الف فرنك في زمن قليل

✽ استخدام حرارة الشمس ✽ عادوا الى المسألة القديمة وهي استخدام حرارة الشمس بدل الوقود بغية استعماله بدل الفحم الحجري اذا نفذ او لانقاص نفقات الوقود كالفحم والخطب وغيرها . وكانوا من قبل قد فكروا باستخدام حرارة الشمس بواسطة مرايا بلورية تجمع حرارة الشمس وتجعلها فعالة كما يشعل بعضهم السيكاكة ببلورة صغيرة معروفة . ولكنهم عدلوا الآن عن هذه الطريقة لان المرأة التي مساحتها ٣٩٠ متراً لم تعط الا قوة عشرة احصنة فضلاً عن ذهاب هذه القوة اذا هبت ريح شديدة . على ان المستر شومان والمستر وبلسي وكلاهما من اميركا قد اتخذا طريقة أخرى فانهما انشأا احواضاً كلما راجل مغطاة

بالزجاج واطلقا فيها الماء يمتص حرارة الشمس بعد جمعها عليه بطريقة خصوصية . ومساحة حوض المسترشومان الموجود الان في فيلادلفيا (الولايات المتحدة) ٨٨ متراً طولاً و ٦٦ متراً عرضاً وقد توصل به الى ابلاغ حرارة الماء الى الدرجة ١٠٠ وادار بجاره آلة عمودية صغيرة . وهو ينوي انشاء حوض طوله ١٢٠ متراً ويقول ان هذا الحوض يعطي قوة الف حصان ولا تكون نفقة الحصان الا ثلاثة سنتيمات بدل ١٠ سنتيمات تنفق على الآلة البخارية النارية ثمناً للفحم او الحطب ولا يخفى مافي ذلك من الاقتصاد

❖ منع احراق الموتى ❖ حكمت في ٣٠ اكتوبر المحكمة العليا في فينا بأن احراق جثث الموتى بدل دفنها أمر غير شرعي فيجب ابطاله في الأرض المتساوية .

❖ وحش جديد ❖ عثروا في غابات مستعمرة غينيا الجديدة على وحش جديد لاذكر له في علم الحيوان وهو ضخيم الجثة مخطط بالبياض والسواد وله رأس هائل . وقد شاهده أحد العلماء ولم يستطع اصطياده فسافرت من لندن بعثة لتصطاد واحداً من نوعه ❖ شركة بيع المواعظ ❖ التي قسيسان في بتسبرغ (الولايات المتحدة) خطبتين

في يوم أحد فدهش الناس لانهم وجدوا ان نص الخطبتين واحد وقد قال القس دانيال درشستر انه يعرف شركة غرضها تصنيف المواعظ والخطب وارسالها في البريد لمن يريد اياها في أي موضوع أراد ان يفيكم الانسان ان يكون خطيباً بليغاً في موضوعه بشيء من المال

❖ القطارات والتلغراف اللاسلكي ❖ جرب التلغراف اللاسلكي في قطار سار من نوارك (ولاية نيو جيرسي) بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة فأمكنه وهو سائر ان يخاطب ادارة شركته في نيويورك ويبلغها أخباره

❖ النقش في الرمل ❖ كانوا يمثلون بالنقش في الرمل وفي التراب للدلالة على استحالة هذا النقش او سرعة زواله . ولكن احد شبان الاميركان يجمع الآن الرمال وينقش فيها نقوشاً تستوقف النظر وقد صوروا نقوشة هذه في جرائد اوروا

❖ غرائب الجراحة ❖ فعل الدكتور كاريل الفرنسي المقيم في اميركا أفعالا جراحية ادهشت زملاءه في اوروا فمنها انه أخذ كلباً تهشمت احدى قوائمها فقطع الرجل المشتمة ثم قتل كلباً آخر واخذ رجله ووصلها برجل الكلب المجروح فشنى هذا الكلب بعد مرور

٢٢ يوماً على العملية وقام يسعى على رجله المستعارة . وفعل مثل ذلك ايضاً في خواصر الكلاب والحررة اذ استبدل خواصرها بخواصر اخرى . وقد استدعاه بعض زملائه الى

اورو با ليلقي عليهم خطاباً في هذا الموضوع وغيره

كلمات لرجال أميركا

✽ بين كرنيجي والإمبراطور غليوم ✽ روي انه لما زار المستر كرنيجي الغني الاميركي المشهور الامبراطور غليوم ساله كرنيجي ان يزور الولايات المتحدة فيكون له فيها استقبال عظيم فاجابه الامبراطور انه لا يستطيع ذلك (لانهم يحتاجون اليه على الدوام) يعني حكومته ورجاله . فاجاب اذا اذنت لي قصص على جلاتك قصة صغيرة فقال قل . فقال كان في اميركا غني كبير أصيب باعتلال فاضطر الى ترك اشغاله والسفر . وبعد ان غاب بضعة اشهر عاد الى بلاده وقال لمدير اشغاله « لله كم سرتني ان تركت العمل كل هذه المدة » فاجابه مدير اشغاله « والله كم سرتنا ذلك ايضاً » يعني كرنيجي ان رجال حكومة الامبراطور يسرهم ان يكون بعيداً عن سياسة الامة . وكان هذا الكلام بعد حادثة الحديد الذي نشرته الديلي تلغراف واقام المانيا واقعدھا . ففقهه الامبراطور حتى بدت نواجذه لانه فهم الاشارة . ✽ بين مورغن ومستخدميه ✽ في ذات يوم دخل المستر مورغن الغني الاميركي المشهور الى مكتبه صباحاً وفي يده قفص فيه بغاء مخنط . واستمر ثلاثة ايام وهو اذا جاء المكتب في الصباح يجيء وفي يده ذاك القفص . وكان مستخدموه يتغامزون ويتساءلون ماذا في اليوم الثالث ضاق احد المستخدمين ذرعاً فشيّع نفسه وجمع قواه وتقدم الى المستر مورغن وساله متردداً ما هذا ايها السر . فرمى مورغن القفص من يده بعيداً وقال له بنزق كنتُ عالماً بانك ستعترضني وتسالني هذا السؤال . فاني راهنت احد اصدقائي على انني افعل في مكنتي ما اشاء وليس بين مائتي مستخدم فيه احدي سألني ماذا افعل الا واحداً وهو انت . فقد اكسبتي الرهان . ولكنني اطلب منك ان لا تتداخل مرة أخرى في مالا يعنيك . وكان المستر مورغن يعني ان يكون مستخدموه اصناماً . ولانعلم هل هذه الرواية صحيحة ام لا . ولكنها اذا كانت صحيحة فذلك المستخدم جدير بالترقية والمكافأة لا بالزجر والتأنيب لانه كان اجراً واذا كي من جميع رفاقه

احدى روايات مكسيم غوركي

الكاتب الروسي المشهور الذي يعد من زعماء
الثورة الروسية الاخيرة ومن اكبر كتاب روسيا

ملفا

—٤٣٥٨—

ذكرنا في غير هذا الموضع من هذا الجزء اننا سنطبع لثمة رواية (مريم قبل التوبة)
على حدة ولذلك لم ننشرها فيه واننا سنشرع في نشر رواية جديدة . وحيث اننا اشتغل
الآن بها فقد رأينا ان لا نترك هذا الجزء خلواً من رواية لا نعلمه من ولع بعض القراء بالروايات .
ومن حسن الحظ اننا وقعنا قبل سفرنا من فرنسا على روايات للكاتب الروسي المشهور مكسيم
غوركي وطالعنا بعضها في الطريق بين جنوى والاسكندرية . فاخترنا منها رواية (ملفا)
* مكسيم غوركي وحياته العجيبة * اسمه الحقيقي انكسي بشكوف ولد في مدينة

نيجني نوفو كورود ولا يعلم تاريخ مولده ولا احد يعلمه وانما المظنون انه في سنة ١٨٦٨ وقد
مات ابوه وامه وعمره تسع سنوات فاستخدم في محل صانع احذية ثم فر منه واستخدم في
محل مصور وانتقل منه الى باخرة استخدم فيها لغسل الصحون . ولم يبلغ الخامسة عشرة من
عمره حتى كان قد عمل في جميع الحرف الا الكتابة والمطالعة . فاراد الانصباب على
الدرس فسافر الى قزان ولكنه اضطر فيها ان يكون خبازاً وحمالاً . واصل احذية ومثشرداً
ومتسولاً . واذ لم بقدر على الانقطاع الى الدرس عمد الى الانتحار فانحصر ولكنه نجح ولم يم
فاخذ بعد نجائه يطوف في روسيا مرافقاً للطبقات الدنيا فيها وعائشاً معيشتهم . واستمر على
ذلك حتى سنة ١٨٩٢ وهي السنة التي نشر فيها اولى رواياته . وعنوانها (الحب القتال)
فالتفت الجمهور اليه . وفي العام التالي نشر روايته (في الظلام) فنال بها الشهرة وطيب
الاحدوثة بين الادباء . ومنذ ذاك الحين جمل التأليف دأبه فطارت شهرته في الافاق
وتُرجمت جميع رواياته الى جميع اللغات الاوروبية . وفي سنة ١٩٠٥ بدأت الثورة
الروسية الاخيرة فقبضت عليه الحكومة الروسية بحجة انه يشير بكتابات ونشرواته افكار
الشعب فسجنته في سجن القديس بطرس وبولس ولكنها لما رأت قيام العالم المتحدين

قومة واحدة لطالب الافراج عنه واطلاق سراحه تسامحت واطلقت سراحه فكانت اعقل وافضل من حكومة اسبانيا في حادثها مع فرر

﴿طريقته في رواياته﴾ طريقة غوركى في رواياته وقصصه طريقة نفرد بها . فانه يجعل كلامه قاصراً على الطبقات الدنيا . فابطال جميع رواياته تقريباً انما هم لصوص ومشردون ومهربو بضائع ومنسولون ونساء ساقطات وحمالون وبجارة وعملة الخ . ولا يخفى انه عاشهم جميعاً وعاش معيشتهم فهو يصور اخلاقهم وعاداتهم تصويراً طبيعياً ثم ينسب اليهم اعمالاً جميلة بعضها عظيم لا يصدر الا عن العظام . وهو يريد بذلك تحبيبهم الى الناس والدلالة على قابليتهم للاصلاح وحث الحكومة والطبقات العليا على الالتفات اليه والعناية بشؤونهم . وهو وتولستوي في هذا على اتفاق . ولكنه ونييتش على طرفي نقيض فيه . ﴿ملفا﴾ وأبطال رواية ملفا التي سنعرها صيادون ومشردون وفيهم امرأة ساقطة هي اهم شخص في الرواية . وبعد هذا التمهيد نشرع في تلخيص الرواية

الفصل الاول

كان البحر ذلك اليوم يتنفس ويتنهد بينما تضغط عليه نسمات المساء ويداعبه حرّ الشمس . وكان على شاطئه رجل متمدداً يدعى فاسيلي لكوستر وهو وكيل مصائد تاجر السمك كريتشتشيكوف . وكان ينظر وهو متمدّد في جهة شبح بعيد بدا في عرض البحر ويتسم مسرة . ذلك لان القادم (ملفا) وهذا هو الزورق الذي اعتادت ان تزور عليه فاسيلي . وقد خيل اليه انه يسمع قبل وصولها اليه صوتها الرخيم وضحكها الدرية ويرى عنقها الفتان

ولكن لم يكذب الزورق حتى اجفل فاسيلي واسنوى جالساً على الرمل . ذلك لانه ابصر في الزورق رجلاً مع ملفا . فمن عساه ان يكون . أترأه سريكييا ؟ كلا لان سريكييا احذق في فن التجديف

فلم يستطع فاسيلي صبراً فصاح — من هذا فاجئت من صوته ظيور البحر التي كانت عائمة على سطحه والنفثت كأنها تصفي اليه فاجاب صوت من الزورق — هذا انا

فقال فاسيلي ومن معك . فكان الجواب من الزورق قهقهة شديدة فعربد فاسيلي وصاح يا لاشيطان ثم بصق من غضبه وكان الزورق قد ازداد دنواً من الشاطئ فعاد فاسيلي الى سؤاله بنزق — من معك

فاجابته ملفا ضاحكة تمهل فستعلم
ثم ان ملفا صاحت برقيقها ان اضرب ضربة من هذه الجهة . فضرب رفيقها البحر
بجذافه فانخذف الزورق الى الشاطئ ووثب منه شاب مسرعاً الى فاسيلي وقال له -
سلام يا ابناه

فدعر فاسيلي اذ عرف ابنه فقال هذا انت يا يا كو . وقد غصّ بريقه حين عرفه
فتعانق الاب والابن ثلاثاً ولكن الناظر اليهما كان يرى اضطراب الأب في هذا
الملتقى على غير موعود

ثم قال الأب . هذا أنت ؟ ان نفسي كانت تحدثني بقرب مقدمك . قال هذا وهو
بداعب لحيته بانامله ويحاول ان يلقي نظره الى ملفا . ولكنه كان يرى ان ابنه ناظر اليه .
وكان مسروراً بان يرى ابنه شاباً قوياً جميلاً ولكن وجود ملفا كان ينغص سروره هذا .
فاخذ باقي على ابنه السؤال تلوا السؤال عن مزرعته وزوجته والاضطراب باد في وجهه
فقال ملفا . يظهر ان سرورك باقى ابنك جعلك في هذا الاضطراب حتى ذهلت ان
تدعوه الى الكوخ وتقدم له شيئاً

فنظر فاسيلي الى ملفا فلم يرَ لها في ذلك اليوم ما كان يعده فيها من الخفة والبشاشة
الا انها كانت اجمل واغض منها في سائر الايام . وكانت في هذا الحين تطعن نوى البطيخ
باسنانها البيضاء الدقيقة وعيناها الصافيتان الحادثتان تنتقلان بين الأب وابنه
اما يا كو الابن فلم يكن به شيء من الاضطراب بل كان يضحك . فقطع ابوه ضحكه
ونظراتها بقوله وقد اتجه نحو الكوخ . انني راجع بعد حين فاجلسا في الظل لاذهب
واستقي الماء من البئر لطبخ السمك وحسائه

ثم تناول اناء كان على الارض بجانب كوخه وتوارى به وراء شباك الصيد المنشورة هناك
فاتجه يا كو وملفا نحو الكوخ ثم نظرت ملفا الى يا كو بجنوح وقالت : قد جئت بك ايها
الشاب الى ابيك فاصبحت عنده . فنظر يا كو الى ملفا فاتقدت عيناه واثار انقاده اواجهه المزين
بلحية كستنائية صغيرة واجاب . نعم صرنا عنده . ما اجمل هذا المكان والبحر المحيط به .
فقال نعم ولكن كيف وجدت اباك هل رأيت انه قد هرم . قال كلا فاني كنت اتوقع
ان اراه اشد هرمًا وعجزاً فاذا به قوي كالسنديانة القوية . قالت منذ كم سنة لم تره .
قال لما فارقنا وترك القرية كنت في السنة السابعة عشرة

ثم دخلا الكوخ وكانت البسط المبسوطة فيه قدرة فتكاد تثن منها الاسماك المملحة

الملقاة عليها . وكان هواه الكوخ شديداً على الصدر . فجلس ياكو على جذع شجرة في الكوخ وجلس ملفا على أكياس بازائه وبينهما برميل كان يخذه فاسيلي كأداة . واخذا ينظران احدهما الى الآخر وهما ساكتان . ثم قالت ملفا هل تبغي ان تجد عملاً في هذه الجهات وتقيم فيها . قال لا أعلم ولكنني ارغب في ذلك اذا كنتُ أجد عملاً . قالت وفي صوتها لهجة التأكيد ستجد وانا اعدك بذلك

ثم أخذت ملفا تطيل النظر الى ياكو وتبين ملامح وجهه . فاخذ ياكو يسمح بكم فيصه العرق الذي كان ينضح من وجهه وهو يتساءل مامعنى تلك النظرات السرية التي كانت تلقىها تلك المرأة اليه . وكان ملفا أدركت مافي نفسه فاخذت تضحك

ثم قالت لا بد ان امك عهدت اليك ان تبلغ الى ابيك شيئاً غير السلام والتحية . فعبس ياكو وأجاب . نعم ولكن ما مرادك بهذا السؤال . فاجابت لاشيء . واستمرت تضحك . وكان ياكو يتألم من ضحك ملفا كلما ضحكت ويتساءل هل هذا غنج ودلال ام شيء آخر . ثم تذكر ما اوصته به امه فصرف وجهه عن تلك المرأة واصبح ينفر منها .

ان امه قالت له قبل رحيله الى ابيه وهي تبكي : قل لايك اكراماً للمسيح لا تتركني وحدي . لقد مضت خمس سنوات وهو هناك وانا هنا وحدي . فقل له ان الهرم بدأ يبدب اليّ وانني اكاد اصبح عجوزاً . قل له اكراماً لله انها على الدوام تعيش وحدها وتشتغل وحدها . ولما زودته امه بهذه الوصية في آخر القرية حين خرجت لوداعه لم يبال كثيراً بهذا الكلام . اما الآن وقد رأى ملفا وهي تضحك وتستمر في الضحك فقد احسّ بجحان شديد وشفقة على امه وكاد يشب على ملفا وبينهما

ولكن هنا دخل فاسيلي وفي احدى يديه سكين وفي الأخرى سمكة كبيرة تتخلج وقال هاءنذا ولكن عليّ ان اوقد النار اولاً ثم اعود اليكما . ثم قال لياكو وهو يخفي اضطرابه قد شببت وصرت جميلاً الآن يا ياكو . ثم خرج

اما ملفا فانها استمرت تطيل النظر الى ياكو وياكو يغض طرفه وكانت لاتزال تطحن نوى البطيخ باسنانها الجميلة . فاخذ ياكو يقول في نفسه انها كليها اي فاسيلي وملفا يتغذيان جيداً ههنا لان دلائل العافية والصحة على وجهيهما . ولكنه احس بضيق في نفسه من هذا السكوت فنهض وقال اني ذاهب لاجي بكيسي الذي تركته في الزورق ثم خرج دون ان يلتفت الى ملفا .

وفي هذا الحين عاد فاسيلي وجلس في المكان الذي كان ابنه جالساً فيه ثم الوى نحو

ملفا وقال بلهجة الرجل المستاء : كيف قدمتِ معه الى هنا . وماذا اقول له . وكيف تكونين معي هنا بازائه .

فاجابت ملفا كأنها تمزح — لقد جئت كما ترى .

قال ماهذا بجواب فانك تعلمين اني متزوج وزوجتي في المنزل . وهذا ابنها . فلا افهم كيف فعلت ذلك .

قالت وماذا تريد ان افهم من كلامك هذا . هل تظن ان وجودي هنا يعني . انني احب ان تعلم انني لست بحاجة الى احد

ثم انها الفت نحوه نظرة غضب وانفة . ونقلت بعد ذلك ملامح وجهها من الغضب الى الانبساط والضحك وقالت : كم جاش الضحك في نفسي حين رأيتك امامه مضطرباً هذا الاضطراب . ولكني من حسن حظك قد ملكت نفسي

فقال ما كان ينقص غير هذا

ثم انه سمع وقع قدمي ابنه قادماً فسكت . فدخل يا كويتاً بط كيس ملابسه ونظر شزراً الى ملفا حين دخوله . فلما جلس قال له ابوه وهو يبتسم تكلفاً . هاقدايت الى . ولكن ما الذي حملك على المجيء الى هنا

فاجاب يا كويت قد كتبنا اليك فلم تجاوبنا . قال ابوه لم يصلني كتابكم وانني لفي عجب من ذلك . فقال يا كويت فانت تجهل اذاً حالتنا . ثم نظر الى ابيه نظرة حذر وشك . فاجاب فاسيلي لاشك في انني اجهلها لانه لم يردني منكم كتاب .

فاخذ يا كويت حينئذ يشرح لايه حالتهم في المزرعة (١) فقال له ان باب الرزق اصبح ضيقاً فيها . فان الفرس مات وما كان لديهم من القمح نفد منذ شهر فبراير وكادت البقرة تموت ايضاً لان علفها قد نفد ايضاً فباعوا ثلاثة خرفان وابتاعوا بثمنها علفاً ثم كتب هو الى ابيه كتاباً يطلعه فيه على رغبته في السفر اليه ليعمل ويكتسب مايسد حاجتهم

(١) في الاصل (العزبة) وهذا هو امم المزرعة في روسيا ومن الغرابة ان يكون هو اسمها ايضاً في مصر

